אם תרצו
המהפכה הציונית השנייה

النكبة الهُراء

إيريز تدمور • إيرئيل سيغال

إمترتسو

النكبة الهُراء

إيريز تدمور • إيرئيل سيغال

إمترتسو

אם תרצו

המהפכה הציונית השנייה

POB 53205 Jerusalem 91531

Tel. 072-2506235

Fax. 02-5323002

Email: imti@imti.org.il

http://en.imti.org.il

"النكبة الهُراء"

الخامس عشر من أيار، تاريخ من الصعب أن يُمحى من صفحات الذاكرة الإنسانية الحية، لما يحويه من ملّس وويلات، وليعنوّن في كتاب الحياة "بنكبة"، قل مثيلها في تاريخ البشريًة القديم والحديث.

إنها "النكبة "التي حلت بالشعب اليهودي عام ١٩٤٤، حين قام الإجرام النازي بسلب أرواح نصف مليون من أبناء شعب إسرائيل في معسكر اوشفيتس، في أبشع إبادة جماعية وتطهير عرقي، إتسمت بفظاعتها ووحشيتها.

لم يكن هذا اليوم هو المحطة الوحيدة من محطات "النكبات اليهودية"، وإن كان أقساها، بل عرف شعبنا "نكبات" متتالية، على مدى الأزمنة والعصور".

"نكبات" أُهملت، وغُيبت، وطُمست، لصالح "نكبة" العصر الحديث الوحيدة، العربية الهوية، عمرها عمر دولة إسرائيل، والتي تتصف (بالهراء) لما تحويه من إدعاءات وتضخيمات.

ويصبح، بذلك، الخامس عشر من أيار ١٩٤٨، ممثلا شرعيا ل"نكبة"، اختصرت كل نكبات العالم، جاعلة "التفاهة" صفة كل معاناة سواها، حاصدة الاهتمام العربي والعالمي والإنساني، مما يجعل" النكبات اليهودية"

مجرد حوادث عابرة لا قيمة لها أمام أهوال "نكبة الفلسطينيين" التي لا مثيل لها والتي يتحمل كل العالم مسئوليتها.

لا ننكر مأساة الفلسطينيين وما حل بهم من "نكبة"، ولكن بالطبع لا نقر بالمفهوم الذي يريدونه، وبالآلية التي يعتمدونها، القائمة على الدعاية، والمبالغات.

نحن، منظمة "إم ترتسو"ـــ وترجمتها إلى العربية " إذا أردتم"ـــ منظمة إسرائيلية شبابية، أردنا عبر هذا الكتيب الذي يحمل عنوان "النكبة الهُراء"، إحياء الذاكرة التاريخية، وتصفح المحطات والوقائع التي سادت آنذاك، تاركين لموضوعيتكم الحكم على من تقع مسؤولية نتائج الحرب عام ١٩٤٨ التي أنتجت يوم "نكبة الفلسطينيين"، داحضين بشهادات ووثائق تاريخية رسمية كل الافتراءات التي تحاول أن تجعل "اليهودي" مسؤولا عن ما حدث حينها، مستعرضين سلسلة من "نكبات" عاشها اليهود على أراضي الدول العربية في التاريخ القديم والحديث، مسترجعين أحداثا طواها النسيان المقصود، بفعل التعتيم، لتبقى "النكبة العربية" سيدة الموقف كل حين.

هذا الكتيب، لم يأت بهدف تأجيج الصراعات، وتوسيع الهوة ما بين الشعبين العربي والإسرائيلي، بل جلّ همنا كشف الحقائق المغيبة والدفاع عن أمتنا اليهودية في وجه كل إدعاء ينال من حقيقة وجودنا، ووضع النقاط على الحروف.

كتيبنا هذا ليس تاريخا، بل تدوين شهادات وأبحاث ووثائق، جئنا نضعها بين أيدي مواطني دولتنا والعالم العربي، صرخة حق ضد أضاليل المدعين وأزلامهم، تكشف مبالغات الدعاية العربية فيما يتعلق بيوم "النكبة"، ليكون مساهمة فعالة، يلقي الضوء على عينة من أحداث غُيبت عن ذاكرة الأجيال، علهِ يقدم لها خدمة لتعرف بعض التفاصيل عن وقائع قد يهملها التاريخ عمداً.

الفصل الأول

مشكلة "اللاجئون الفلسطينيون" - من المسؤول؟

"إن الحرب ستكون ضروسا، وسوف تُروى قصة المجزرة كما تروى قصة حروب المغول والصليبين" - بهذه الكلمات القاسية واللا إنسانية، أعلن عبد الرحمن عزام، أمين عام جامعة الدول العربية، الحرب على دولة إسرائيل في مؤتمر صحفي في القاهرة، ردا على إعلان استقلالها في.١٥ أيار ١٩٤٨.

الشرارة الأولى لحرب الاستقلال هذه، بدأت إثر إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ قرار مشروع تقسيم أرض إسرائيل التاريخية إلى دولتين؛ يهودية وعربية.

رفض العرب، متمثلين باللجنة العربية العليا، المنبثقة عن الجامعة العربية، قرار التقسيم وأعلنوا معارضتهم لمشروع تسوية إتُخذ من قبل المجتمع الدولي الذي تمثل آنذاك بالجمعية العامة للأمم المتحدة.

وسرعان ما تحول هذا الموقف المناهض للإرادة الدولية إلى حرب اندلعت نيرانها في اليوم التالي للقرار التاريخي، حاصدة أولى ضحاياها؛ خمس مواطنين يهود قُتلوا في انفجار استهدف حافلة "إيجد" رقم ٢٠٩٤.

لم يكن أمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزيز ـــ صاحب القول الذي افتتحنا به سطورنا ـــ الوحيد الذي بشر بالمجازر والحروب، ولم يكن وحده نصير العنف بين القياديين العرب عام ١٩٤٧:

"فلسطين ستمتلئ دما ونارا إذا اخذ اليهود جزءا منها"، كان هذا وعد جمال الحسيني، عضو اللجنة العربية العليا، لأصحابه في الهيئة العربية المذكورة، مبشرا بانتهاج لغة الدم.

فيما تعهد رجال بن سعود، للجنة العربية، من النيل من اليهود قائلين:"في حال الحصول على الضوء الأخضر من البريطانيين باستطاعتنا رمي اليهود بسهولة".

ليشاطرهم فوزي قوقاجي، قائد جيش التحرير الإسلامي أو ما عرف حينها بجيش الإنقاذ، بقسمٍ يقضي إلى رمي اليهود في البحر.

لتصدح نبرة عبد القادر الحسيني، قائد العصابات آنذاك، مؤكدا بصرامة أن" مشكلة فلسطين لا يمكن حلها إلا بالسيف وعلى اليهود ترك فلسطين".

الجدير ذكره، إن لهجة التهديد والعنف هذه، جاءت في السنوات التي تلت المحرقة النازية مباشرة، والتي أبادت ٦ ملايين يهودي في أبشع مجزرة إنسانية عرفتها البشرية، حينها كان اليهود لا يزالون تحت وطأة فظاعة الحدث فيما الآلاف منهم كان لا يزال رازحا في مخيمات اللاجئين في أوروبا.

كُتب على الشعب اليهودي أن يعاني الإجرام الإنساني وان يكون عرضة لكل أنواع الملاحقات التعسفية والقتل والتعذيب، مما دفعه إلى القبول بقرار التسوية الذي قضى بتقسيم ارض إسرائيل التاريخية (التي عرفت بمنطقة فلسطين) إلى دولتين لشعبين، مرحبا رغم الألم بإرادة المنظمة الدولية. إلا آن ردة فعل العرب كانت له بالمرصاد، فهم لم يرفضوا القرار الدولي وحسب بل

توعدوا اليهود بمحرقة ثانية على ارض إسرائيل بعد أفول سنتين على الأولى.

جريمة أخلاقية ارتكبت بحق أبناء الأرض حينها، وظلم لم يشهد التاريخ أمثاله. فقد هُدد اليهود في عقر دارهم وبقساوة قل مثيلها وبإبادة كاملة عام ١٩٤٧.

لقد قدر للشعب اليهودي آن يعيش الاضطهاد والقتل، لذلك لم يكن هناك ادني شك في كلام الحسيني وأعوانه، الذين وعدوا بهدر دماء أبناء شعبنا في كل لحظة تُسنح لهم، وهذا ما أثبته العرب الذين لم يوفروا أي فرصة في قتل اليهود وفي طعن أجسادهم بخناجر الكره وسيوف الموت.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المجازر التي ارتكبها سكان " أرض إسرائيل" الناطقين "بلغة الضاد" بحق اليهود، لم تبدأ مع إعلان حرب الاستقلال، فأياديهم لطخت بدماء "أبناء يعقوب" عقودا خلت:

نذكر حادثة ٢٩ آب ١٩٢٩، حين اقتحم العشرات من العرب بيت الصيدلي "جرشون بن تسيون" في حبرون، الصيدلي البارع الذي قدم خدمات جمة إلى "جيرانه" العرب دون أي مقابل، إلا أن إنسانيته لم تشفع له، ليكون ضحية لأبشع أنواع القتل المتعمد.

قد يكون قاتلوا "بن تسيون" من أولئك الذين عولجوا يوما بدوائه، فبادروا رد جميله ليس فقط بهدر دمه وإنما بفقر عينيه أيضا، ليختموا إجرامهم بأبشع فعلة، ويقضون على زوجه وابنته.

لقد روت دماء "بني إسرائيلي" مدينة الأجداد "حبرون"، وقُتل العشرات من سكانها الأصليين دون شفقة على أيدي ألاف المشاغبين الذي اقتحموا حرمة الدور اليهودية من أجل السرقة والاغتصاب والقتل بطريقة إجرامية قل مثيلها. كان ضحية أعمال الشغب هذه ٦٧ يهوديا، ورغم علم سلطات

الانتداب البريطاني بالأمر، إلا إنها لم تحرك ساكنا فأضطر المئات من يهود حبرون إلى الرحيل، تاركين أقدم بقعة يهودية في ارض إسرائيل، بعد أن عاشوا فيها آلاف السنين.

المذبحة بحق اليهود استمرت وانتشرت في أنحاء مختلفة من أرضهم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (إذ يتعذر علينا إيراد المجازر جميعها، فحسبنا ما يتسع له المقام):

في يروشلايم قتل ١٩ يهوديا، لتسجل مدينة تسفات (صفد) ١٨ ضحية، وتفقد حيفا ٦ من أبنائها اليهود، وتدفع تل أبيب أرواح ٣ أبرياء منهم.

على طريق يروشلايم، ارتكبت أبشع الجرائم على أيدي المخربين بحق عائلة "مكلف"، التي راح ضحيتها الأب والأم أمام أعين أولادهم الثلاث - فتاتان وصبي. نجا الأبناء من المجزرة، ليكتب القدر البقاء للابن مردخاي الذي غاب عن نظر المجرمين، ويجعله فيما بعد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الثالث لدولة إسرائيل.

عند انتهاء أعمال الشغب كان عدد الضحايا قد تخطى ١١٣ قتيلا، احتضروا بطرق تقشعر الإنسانية من هول فظاعتها؛ جثث ممزقة، أطفال احرقوا وهم أحياء، رضع ضُربت رؤوسهم بالجدران، نسوة اغتُصبن وبُقرت بطونهن، إضافة إلى المئات من الجثث البشرية المبتورة الأعضاء.

ولعل الصور المروعة في موقع "ذكرى الضحايا" على الشبكة العنكبوتية، لهي خير إجابة عن فهم نوايا العرب الذين وعدوا يوما ذبح اليهود وإبادتهم.

الأحداث الممتدة من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٣٩ لم تكن اقل دموية من سابقاتها، حصدت حوالي ٤٠٠ قتيلا إسرائيليا، معظمهم من الأطفال بعد أن تحولت دور الأيتام والأطفال هدفا، جذب العرب آنذاك، لتنفيذ عمليات

القتل والنيل من العرق اليهودي. ولم تنته رحلة الدم والقتل آنذاك إلا عندما أنهك الجوع، الذي ضرب المنطقة، كاهلهم مبعدا شبح المجازر ولو زمنيا، عن أبناء يعقوب.

في العودة إلى قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عارض العرب، كما أسلفنا، القرار وهددوا باعتماد لغة النار، ورغم وحشية المجازر التي ارتكبت سابقا، وجدت قيادة المناطق اليهودية في قرار التقسيم حلا، تبنته الحركة القومية اليهودية، فيما تشبث العرب في رفضهم له، ولم يستكينوا، بل أرادوا السيطرة على كل الأراضي التي كانت خاضعة لسلطة الإنتداب البريطاني، ضاربين عرض الحائط حق اليهود في إقامة دولة خاصة بهم على أرضهم التاريخية.

رد فعلهم عُنون بالدماء، والنار والدخان. وأصبح دم اليهودي هدفا وموته غاية، فكانت سلوكياتهم انعكاسا لذلك، قائمة على القسوة والغباء والغطرسة، فجلبوا الدمار و"النكبة" لأنفسهم.

في تموز من العام ١٩٤٩، أي بعد ٢٠ شهرا على إعلان الحرب، و١٤ شهرا على تهديد عبد الرحمن عزام ب"مجزرة ستذكرها الأجيال"، انتهت حرب التحرير بنصر إسرائيل وبهزيمة عربية كاملة.

لم يستطع العرب رمي اليهود في البحر، ولم يسحقوهم عن وجه الأرض، بل بقي "أبناء يعقوب" على أرضهم، واستعادوا حقهم... أما هم فلم يظفروا إلا "بنكبة".

وهكذا بدل أن تنشا دولة عربية على مساحة ٤٥٪ من الأراضي غرب نهر الأردن (أي حوالي ١٢,٠٠٠ كلم مربع مقابل ١٤,٠٠٠ لليهود) بقي عرب

ارض إسرائيل بلا شيء، وخرجوا من الحرب ـــ كما يقال بالعربية ـــ ب "خفي حنين".

وأحكم اليهود سيادتهم على ٧٨٪ من أراضيهم التاريخية غرب الأردن، فيما سيطرت مملكة الأردن على يهودا، شومرون وجزء من يروشلايم الشرقية) الضفة الغربية لنهر الأردن)، أما مصر فقد احتلت قطاع غزة.

من نتائج الحرب التي خاض العرب غمارها دون أي مسؤولية أو رؤية مستقبلية؛ تحول مئات الآلاف من عرب ارض إسرائيل (أو ما يعرف بمنطقة فلسطين) إلى لاجئين في الدول العربية.

بعد أن خسر العرب هدفهم معتمدين لغة الحرب، وانقلب سحرهم عليهم، وعانوا من حال ضمروه لليهود "جيرانهم" ، انتقلوا إلى اعتماد إستراتيجية، تخدم أهدافهم الجديدة المصاغة على قياس واقعهم، قوامها لغة التضخيم، التحريض، الدعاية والادعاءات.

نذكر منها على سبيل المثال، التالي:

يدعي العرب أن عدد اللاجئين نتيجة "حرب الاستقلال" هو ٩٠٠ ألف، إلا أن الواقع يقول أن عدد هؤلاء تراوح بين ٥٦٠ إلى ٦٠٠ ألف لاجئ، (وسنورد لاحقا هذا الموضوع مفصلا بالأرقام، داحضا مزاعم الادعاءات).

يدعي العرب أن كل اللاجئين الفلسطينيين العرب قد طُردوا من بيوتهم. لكن التاريخ يشهد على أن قاداتهم اتخذوا قرار الرحيل دون أن تكون هناك نية لليهود بإبعادهم. (سنتطرق لهذه المسألة في سياق الكتيب، بشهادات تنكر مزاعمهم).

لقد صاغ العرب أسطورة "النكبة"، بقصة محبوكة دارت حول محور أساسي

هو التالي:

جاء اليهود الاستعماريين واحتلوا فلسطين ابتداء من القرن التاسع عشر، معتمدين حرب التطهير العرقي بحق الفلاحين الفلسطينيين الذين سكنوا أرضهم منذ ألاف السنين.

الهدف من التطهير العرقي هذا، إفراغ الدولة اليهودية من السكان العرب، وجاءت الحرب فنفذ اليهود مخططهم بطرد ألاف الفلسطينيين.

ما جاء أعلاه، لا يمت للحقيقة بصلة وهو محض افتراء. للأسف، كمية الأكاذيب التي يحتويها هذا الادعاء، باتت حقيقة مؤكدة في العالم العربي

التاريخ، وهو خير شاهد على الحقائق، يدحض مزاعمهم، ويبيد المحاولات الآيلة إلى اللعب على الوقائع والحقائق لإظهار اليهود بمظهر "الظالم" فيما هم "المظلومين"، وليثبت أن العكس هو الصحيح.

الأمر الذي يضعنا أمام تساؤل يدغدغ فكر كل متعطش للحقيقة، ألا وهو: من يتحمل مسؤولية نتائج الحرب؟ من ناحية أخلاقية ومن ناحية القانون الدولي أيضا.

يوجد نهجان معتمدان في تحديد من يقع عليه وزر نتائج الحرب:

الأول هو المنهج الانسترومنتالي أي المنهج الاداتي؛ الذي يحمل مسؤولية نتائج الحرب على الخاسر فيها. هذا ما اعتمد على مدى التاريخ.

اما الثاني فهو المنهج الأخلاقي، والمعتمد في القانون الدولي ؛ الذي يشير إلا أن مسؤولية نتائج الحرب، وهدر الدماء، والخسائر في الأرواح، إضافة إلى الدمار والخراب، تقع على عاتق المهاجم. أي القطب الذي سبب الحرب والذي

ابتعد عن الجهود الدبلوماسية والتسويات واختار لغة القتل، والاغتيالات والعنف بديلا.

أي القطب الذي طالب بكل شيء لنفسه، وبأنانيته عمد إلى تجاوز ودوس حقوق الآخرين .

استطرادا، لا بد من ذكر المنهج الإضافي؛ العربي الاعتماد ولا بديل له عند معظم الناطقين بلغة الضاد، ألا وهو" الحق على اليهود".

نرد أدناه، سلسلة من الأحداث التي حمّل العرب فيها اليهود مسؤولية العنف، والتي صنفت ضمن إطار "نكبتهم" وفق منهجهم المحبذ.

على سبيل المثال:

مجزرة عام ١٩٢٩ (مجزرة حبرون) بحق المواطنين اليهود؟ سببها : رفع عناصر منظمة عناصر بيتار اليهودية، علم إسرائيل في مظاهرة قرب الحائط الغربي لبيت المقدس القديم.

الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩؟ سببها: تزايد الهجرة اليهودية من أوروبا إلى الأرض الام.

الانتفاضة الأولى؟ سببها قصة إسرائيلي دهس فلسطينيا.

الانتفاضة الثانية ؟ سببها: زيارة شارون لموقع بيت المقدس.

أحداث عام ١٩٩٦؟ سببها: افتتاح بنيامين نتانياهو لنفق الحائط الغربي لبيت المقدس القديم.

مئات العمليات الانتحارية؟ سببها إقامة حواجز أمنية إسرائيلية لحماية المواطنين الإسرائيليين.

النكبة ؟ سببها الصهاينة المستعمرين؟

هؤلاء "الصهاينة" الذين قدموا من بولونيا، لغزو ارض منطقة " فلسطين"، فاستغلوا الفلاحين العرب، وطردوا ٩٠٠ ألف فلسطيني"، هذا ما تم تسويقه عربيا وعالميا، وهذا ما تم نقله إلى الأجيال.

ادعاءات شوهت الحقيقة، ومزاعم أشعلت نيران الحرب والعنف والقتل لأسباب لا تستحق الدماء البتة، إلا في حال وجود نوايا مخبأة لمبادري العنف، فالأمثلة البسيطة أعلاه والقريبة لذاكرة القارئ المعاصر، تؤكد أن العرب الفلسطينيين كانوا دائما السباقين في إعلان العنف، وردهم مفتعل وحاضر دائما، بانتظار الفرصة السانحة .

ولعل من الأهمية بمكان أن نسأل: ماذا لو ارتكب اليهود المجازر بحق العرب الفلسطينيين، فقط لأنهم رفعوا علما أو افتتحوا نفقا؟

لقد صاغت "النكبة" روايتها بسطور ادعاءات معتمدة على نوع من الحرب النفسية، كمحاولة للرد على المحرقة النازية، باختلاق "محرقة فلسطينية" تجعل الجاني ضحية.

لقد نجح العرب في تصدير رواياتهم، وجعلوها أساسا في تربية أجيالهم، الذين نموا على حليب الكراهية ضد اليهود بشكل عام وإسرائيل بشكل خاص، واخفوا كل معالم الحقيقة عنهم لأنها ستكشف واقع الحال وتظهرهم سببا في نكبة العرب الفلسطينيين وتشردهم.

اعتمدوا صناعة الروايات المدججة بالخداع والهادفة إلى إسقاط الشرعية عن دولة إسرائيل، لتدخل منطقة بأسرها وشعوب برمتها في دوامة الحروب والصراعات.

ومن هنا وجب علينا مواجهة هذه الروايات والادعاءات، التي تشوه الحقائق

معتمدة على "بروباغندات"، ليس بهدف تأجيج نار الصراعات وإنما نصرة للحق وللتاريخ الذي مهما سُترت أحداثه بغبار النسيان، سيبقى حقيقة تروي ما حصل، للأجيال.

فآن الأوان أن يعرف العالم حقيقة الأحداث وماهية "النكبة"

فما هي الحقيقة ؟

نعود من حيث بدأنا وما أسلفناه سابقا:

في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر من العام ١٩٤٧ قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تقسيم ارض إسرائيل التاريخية إلى دولتين؛ دولة يهودية وأخرى عربية.

لم تحصل الدولة العربية، بموجب قرار التقسيم، على يهودا، شومرون (الضفة الغربية لنهر الاردن) وغزة فقط وإنما على الجليل الغربي والمركزي، والنقب الشرقي الذي تضمن بئر السبع، النقب الغربي، اشكلون واشدود، اللد والرملة وحتى يافو.

ما تبقى شكل سيادة الدولة اليهودية، ورغم أنهم لم يحصلوا على المناطق اليهودية التاريخية مهد أجدادهم، رحب اليهود بالقرار معتبرين أن حلم الأجيال قد تحقق بسلام.

إلا أن الفرحة هذه لم تتم، لان العرب عارضوا القرار بالانقضاض على المناطق اليهودية، معبرين عن سخطهم بالقتل والتدمير من اجل منع تنفيذ مشروع التقسيم التسوية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة.

في ١٥ أيار ١٩٤٨، انتهى عهد الانتداب البريطاني، وكان دافيد بن غوريون قد أعلن، قبل يوم، استقلال دولة إسرائيل، ماداً يده إلى عرب منطقة فلسطين مسالما، داعيا إياهم إلى التخلي عن العنف والعيش في وئام وإقامة دولة عربية.

كان بإمكان العرب الفلسطينيين أن يقوموا بعمل مماثل وان يعلنوا دولتهم، إلا أنهم اعتمدوا العكس، والسلام الذي مُدّ إليهم ردوه معلنين الحرب على الدولة الجديدة، حيث قامت الجيوش العربية : مصر، سوريا، العراق، الأردن، لبنان والسعودية بغزوها في عقر دارها، هدفا في القضاء على حلم شعب أراد أن يحيا في دولة مستقلة بسلام.

بعد ثلاث سنوات على المحرقة النازية التي قضت على ٦ مليون شخص، وقف ٦٠٠ ألف يهودي أمام خطر الإبادة من جديد.

الحرب هي عمل وفعل قاس جدا. تسلب البشرية كرامتها ووجودها وتحصد الأرواح والجرحى، وتقلع المواطنين من بيوتهم وأرضهم.

ستة ألاف يهودي (١٪ من عدد سكان إسرائيل آنذاك أي ما يعادل ٧٠ ألف نسبة إلى عدد سكان إسرائيل اليوم) قتلوا في هذه الحرب القاسية.

المسؤول عن هذه الحرب، هو من قام بهجمات مروعة وقاسية، وقتل عن سابق إصرار وتصميم الرجال، النساء والأطفال والشيوخ، دون أن يرحم أولئك اللاجئين اليهود الذين هربوا من مخيمات الإبادة في أوروبا قاصدين ارض أجدادهم، علها تحميهم قسوة القدر، فكان لهم هذا الأخير بالمرصاد.

والواقع التاريخي يقف شاهدا على حقيقة واحدة لا مجال للشك فيها، وهي: أن العرب والفلسطينيين أول من بادروا إلى إعلان الحرب واستخدام منطق الدم والنار، وبالتالي هم وحدهم يتحملون نتائجها المدمرة والمصيبة

التي يدعونها "نكبة".

هذه "النكبة " هم من بادروا إلى صناعتها وصاغوها بقراراتهم قبل أن يضيفوا لها إستراتيجيتهم التي تقوم على نسج الروايات التحريضية والمبالغ فيها.

نتائج الحرب كانت مرعبة؛ قتلى، دمار، تشريد ولاجئون. كارثة فلسطينية حلت بالفعل لكن ليس وفق المفهوم والأسباب التي يريدون إقناع العالم بها.

الفصل الثاني

مدينة حيفا خير مثال

حمّل العرب إسرائيل وزر نتائج حرب الاستقلال، رغم أنهم أول من بادر في الهجوم وإعلان "إبادة اليهود" من ارض إسرائيل التاريخية.

ولعل أهم هذه النتائج مشكلة اللاجئين باعتبار أن اليهود لجئوا إلى ترحيل الفلسطينيين بصورة متعمدة، باعتمادهم سياسة التطهير العرقي.

بروباغندا عربية، تمكنت في صياغة أعظم قصة نجاح عرفها تاريخ العصر الحديث، أساسها تزوير الحقائق وتلوين الأحداث.

دعاية فعلت فعلها ليس في العالم وحسب، وإنما في إسرائيل أيضا، لتظهر مجموعة، تطلق على نفسها إسم "المؤرخون الجدد"، أرادت البحث في عمق التاريخ لإثبات ما يدعيه العرب من مجازر ارتكبت على أيدي اليهود، لكن سرعان ما أعلن احد أعضائها انسحابه منها وهو بني موريس، نتيجة صحوة، قادته إليها أبحاثه التي وضعت بين راحتيه معلومات ووثائق شكلت إضاءة على طريق الحقائق، غالطت إدعاءات العرب، وأيقنت فيه انه كان على وشك ارتكاب مغالطات بحق أمته اليهودية.

ادعى العرب، أنه في سنوات حرب الاستقلال، قامت قوات التحرير اليهودية (المنظمة العسكرية القومية و المحاربون من أجل حرية إسرائيل) بإرتكاب المجازر بحق المئات من السكان العرب الفلسطينيين، وإجبار الآلاف على ترك أراضيهم وبيوتهم بطريقة مخطط لها سابقا، إضافة إلى قيامهم بالعديد من أعمال الشغب والاغتصاب.

هذه الادعاءات دُحضت فيما بعد، وتمكن الإسرائيليون من إثبات أن كل ما قيل وأشيع عن عمليات اغتصاب وأعداد القتلى مجرد روايات لا تمت للحقيقة بصلة، دعمتها شهادات شهود من السكان العرب أنفسهم.

نأخذ على سبيل المثال لا الحصر، معركة دير ياسين أو ما أسموه مذبحة دير ياسين، التي وقعت في نيسان ابريل من العام١٩٤٨ حيث ادعى العرب أن اليهود قتلوا أكثر من ٢٥٠ شخصا من سكان القرية، فجاءت التقديرات لاحقا لتكذب هذا الرقم ولتظهر الحقيقة التي تقول أن عدد قتلى هذه المعركة يتراوح بين ٩٤-١٢٠ قتيلا. وجاء البحث التي أجرته جامعة بئر زيت بنتائج مماثلة لتضع حدا لهذا التضليل المتعمد. في مقابلة للبي بي سي أكد عدد من اللاجئين من قرية دير ياسين، انه لم ترتكب مذابح في قريتهم وكل ما يحكى عن هذا الموضوع مجرد أكاذيب، لتؤكد شهادة لاجئ من القرية، احتواها كتاب تناول هذا الموضوع، أن أكثرية القتلى العرب كانوا مسلحين ومقاتلين وما قتل من أطفال أو نسوة قاموا بمساعدتهم أو استعملوا كأكياس رمل لهم. وأن اكبر مجموعة قتلت كانت عبارة عن ستة مقاتلين مسلحين في محجر في القرية.

عمد العرب إلى اعتماد المبالغة في عدد القتلى من أجل زيادة الكراهية لليهود في صفوف مقاتليهم ومواطنيهم، ومن اجل حث الجيوش العربية على الانضمام إلى الحرب.

في الواقع، أدت الدعاية، التي رُوّجت آنذاك، إلى عواقب لم تخدم هدف أصحابها، لا بل دفعت السكان العرب إلى ترك القرى والهروب خوفا ورعبا مما سمعوه، فبعد دخول القوات اليهودية قرية دير ياسين تمكنوا من ولوج القرى الأخرى دون أي مقاومة تذكر. أما موضوع ما أسموه المجازر والمذابح فلم يُثر إلا بعد الحرب حيث تطور الجدل حياله.

إن الأكاذيب التي حيكت حول هذا الموضوع دفعت بعض الأكاديميين إلى البحث والتحقيق من اجل توضيح صورة التاريخ الحقيقية، واهم هؤلاء كان البروفسور افرايم كارش، (وهو أستاذ أكاديمي ورئيس قسم الشرق الأوسط في جامعة King's College في لندن)، الذي صب جل اهتمامه على مسألة ترحيل العرب الفلسطينيين.

اعتمد كارش على ألاف المستندات من أرشيف إسرائيلي بريطاني وأميركي تمت قراءتهم في العقد التسعيني من القرن العشرين، إضافة إلى وثائق من الأرشيف العربي.

سعى كارش لدراسة ما إذا كان الأرشيف الجديد سيوفر معطيات تؤكد مخطط ترحيل العرب، أو ستدحض المزاعم التي تتحدث عن طرد سكان "لغة الضاد" من ارض إسرائيل.

كان لهذه الوثائق، وما قادت إليه من نتائج، أهمية إستراتيجية لكشف الحقيقة وآلية بارزة لمواجهة كذب ما يسمى النكبة.

ولعل مدينة حيفا وما شهدته من وقائع واحداث، خير مثال نورده ليختصر حقيقة ما آلت إليه الأمور آنذاك مجسدة الحقائق التاريخية التي تدحض روايات النكبة.

حتى عام ١٩٤٨ كانت حيفا تضم العدد الأكبر من السكان العرب في ارض

إسرائيل بعد مدينة يافو، بحيث بلغ عددهم قبل اندلاع الحرب ٦٢ ألف. نسمة، بينهم طبقة الوجهاء والقيادة العربية في شمال البلاد.

وعند انتهاء المعارك، أصبحوا قلة قليلة لا تتعدى بضعة ألاف. حوالى عشرين بالمائة من اللاجئين العرب في سنوات ١٩٤٧-١٩٤٩ خرجوا من حيفا.

من الأمور المهمة التي أبرزها كارش، أن المعارك في حيفا، التي بلغت ذروتها وحدتها في ٢١ و ٢٢ نيسان/ ابريل من العام ١٩٤٨، لم تكن سببا في ترحيل العرب من المدينة لا بل أن الهجرة الجماعية لهم بدأت في تشرين الأول/اكتوبر عام ١٩٤٧، أي قبل شهر من صدور قرار التقسيم في تشرين الثاني/ نوفمبر واندلاع الحرب.

فقدٍ أظهرت وثيقة مخابراتية بريطانية صادرة في ٢٣ تشرين الأول/اكتوبر، نبأ جاء فيه أن العائلات العربية الكبرى أيقنت أن الاحتدام والاقتتال بات على الأبواب، ما دفعها لترحيل أبناءها إلى الدول العربية.

وفي ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر، أي قبل أسبوع واحد من تصويت الجمعية العامة، تم الإبلاغ عن حركة هجرة كبيرة للسكان العرب.

وبعد أسبوعين على اندلاع "نار الاستقلال"، أفيد عن هجرة جماعية قدرت ب ١٥- ٢٠ ألف شخص من عرب المدينة.

الفرار الكبير لبعض السكان، زرع الخوف والذعر في صفوف الآخرين ودفعهم لحمل أمتعهم والرحيل. بحيث قام رجال الأعمال ببيع ممتلكاتهم ونقل أعمالهم إلى سوريا مصر ولبنان، قابل هذا كله، تدفق مقاتلين إلى المدينة من الدول الأنفة الذكر إضافة إلى العراق.

فقدت القيادة العربية "الحيفاوية" قوتها في السيطرة على الشارع وخصوصا على العصابات المحلية والمقاتلين الآتين من الخارج.

هذه الهجرة الكبيرة لثلث سكان العرب من مدينة حيفا، قبل اندلاع الحرب فعليا، دفعت اللجنة فيها للتوجه إلى الدول العربية بطلب استيعاب اللاجئين بصورة منظمة وزمنية.

فيما طالبت، في شهر آذار/مارس، بإخلاء منظم للمدينة من النساء والأطفال وعمدت إلى استئجار سفينة مصرية لتنفيذ عملية الإخلاء.

حين وصول قوات" الهجانا" إلى المدينة في ٢١ نيسان/ابريل ١٩٤٨، كان نصف سكانها العرب لا يزالون فيها، وعند زحف القوات الإسرائيلية باتجاه السوق في ٢٢ نيسان/ابريل، سجلت حركة هجرة جماعية شملت الآلاف.

لا شك في أن هذه المرحلة جاءت انعكاسا واضحا لحقيقة ما حدث في جميع سنوات الحرب، حقيقة تدحض مسؤولية اليهود، وتظهر أن " الرحيل " جاء بطلب عربي كان سببا" لنكبة اللاجئين الفلسطينيين".

على اثر دخول القوات اليهودية مدينة حيفا، توجه ما تبقى من القيادة العربية في المدينة، إلى القائد البريطاني الميجور ستاكوول، بطلب تنظيم وقف فوري للحرب مع اليهود.

وافقت قوات" الهجانا" على طلب الجانب العربي و أرسلت شروطها بغية الشروع في إحلال وتمتين الأمن، فطالب العرب إمهالهم ٢٤ ساعة للتشاور ودرس الشروط، للعودة بالرد المناسب.

وبعد مرور المهلة الزمنية المحددة، عادت اللجنة العربية بجواب سلبي، رافضة التوقيع على شروط وقف إطلاق النار، مدعية عجزها في السيطرة على

العصابات والمسلحين في الشارع، مطالبة المندوب البريطاني، تأمين عملية إخلاء منظمة للسكان العرب من المدينة.

هذا الطلب أدهش الحاضرين من بينهم رئيس بلدية تل ابيب" شفتاي لفي"، الذي إعتُبر صديقا مقربا من السكان العرب في حيفا، راجيا أعضاء اللجنة تعديل موقفهم وسحب طلبهم قائلا لهم: "انتم ترتكبون جريمة شنيعة بحق أبناء شعبكم".

فيما تعهد يعقوب سالومون، ممثل الهجانا في المفاوضات، وباسم قيادة المنطقة، التزامه باحترام السكان العرب الذين قرروا البقاء في المدينة ومعاملتهم بمساواة، والحفاظ على أمنهم، مؤكدا أن القيادات اليهودية يعنيها المحافظة على الوجود الثنائي في المدينة.

أما الميجر البريطاني ستاكوول فتوجه لهم مستاء: "لقد اتخذتم قرارا خاطئا، فكروا بالأمر مرة ثانية وإلا ستندمون على ذلك لأجيال وأجيال. عليكم القبول بالشروط التي وضعها اليهود، فهي شروط منطقية ولا تنسوا أنكم المبادرون للحرب وهم المنتصرون".

وفي اليوم التالي عادت اللجنة العربية للقاء الميجر البريطاني تطالبه المساعدة في عملية الإخلاء الجماعية؛ تأمين ٨٠ شاحنة لليوم الواحد لنقل السكان وتوفير المواد الغذائية.

فيما قرر عدد بسيط من العائلات البقاء في المدينة من اصل عشرات الآلاف من السكان العرب.

ورغم القرار العربي، حاولت قوات الهجانا طمأنة السكان العرب بكل الوسائل الممكنة عبر الراديو والمنشورات التي وزعت، معلنة انه لا يوجد نية في التعرض لهم .حتى انه خلال عيد الفصح طالبت الأفران بالاستمرار في تامين

الخبز للسكان العرب في المدينة.

وفي هذا السياق، قال قائد لواء الشرطة البريطانية في إحدى الرسائل: "جهد اليهود لإقناع العرب البقاء في المدينة"، وهذا ما أشارت إليه تقارير مماثلة وُثقت في مستندات القنصليات الأميركية والبريطانية، كذلك في أرشيف الهجانا.

واصل البريطانيون محاولاتهم لحث القيادة العربية على تعديل موقفها، إلا أن الجواب الذي حصلوا عليه" لن نوقع على الاتفاق البتة ولو على حساب أرواح شعبنا".

لقد ادعى العرب أن رفضهم التوقيع على الشروط التي وضعها اليهود يعود إلى كونها مذلة وتمس بكرامتهم، لذلك فضلوا الرحيل على البقاء، إلا أن الوثائق التاريخية كان لها كلمة مغايرة، فضحت ادعاءاتهم وأظهرت بوضوح أسباب رفضهم، وما وراء "ترحيل" السكان أبناء عرقهم.

لقد وجد كارش في المستندات التي حصل عليها، أن بعض السكان العرب تعرضوا للتهديد بالقتل والخيانة في حال قرروا العودة إلى ديارهم، على سبيل المثال؛ هددت " لجنة الطوارئ العربية"، التي ضمت قياديين عرب بارزين، مجموعة كبيرة من العرب ومنعتها من العودة إلى وادي النسناس، مرتكزة على أسلوب الدعاية والترهيب القائل أن اليهود شعب لا يعرف الرحمة وان النسوة والأطفال معرضين للقتل.

يقول كارش، أن الإخلاء الكبير لسكان العرب في حيفا تم بأمر من القيادة العربية الرسمية في المدينة وبإدارتها.

مما يطرح السؤال التالي: هل قرار الرحيل نابع من الإرادة الذاتية أو مفروض من أطراف خارجية؟

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن اللجنة العربية في مفاوضتها مع الهجانا، كانت تتشارك في اتخاذ قراراتها مع اللجنة العربية العليا وجامعة الدول العربية، لا بل كانت تأتمر بأمر قراراتهم ، التي تمحورت حول جواب واحد احد ؛ الإخلاء الفوري.

وفي الحقيقة، الأمر الذي سرّع خروج السكان العرب من حيفا بهذه الأعداد، ما ابلغوا به؛ أن القوات العربية ستقوم باحتلال المنطقة خلال أيام لتحريرها من اليهود.

فكان قرارهم بالرحيل خيارا عربيا بامتياز، دفع السكان العرب ثمنه، وكانوا الضحية وكبش المحرقة والمسؤولين عن مصابهم.

الفصل الثالث

كم من الزمن عاش " الفلسطينيون " في ارض إسرائيل التاريخية؟

تعريف اللاجئ:

تعرف الأمم المتحدة اللاجئ، بشكل عام، على انه:

كل شخص اضطر بسبب الحرب أو الاضطهاد أو الطرد، إلى مغادرة موطنه الأصلي الذي عاش فيه من القدم.

التعريف إذا واضح: اللاجئ هو من ترك (بالإكراه) الأرض الذي عاش فيها وسلالته منذ زمن قديم، ولا يشمل المهاجر الذي جاء منطقة ما، منذ فترة زمنية قصيرة، كما حال عرب أرض إسرائيل الذين أصبحوا صدفة "لاجئين"، بعد أن اعتمد تعريف خاص بهم، فصل على مقاس واقعهم.

عند انتهاء "حرب الاستقلال"، عمدت منظمة الأمم المتحدة إلى اعتماد تعريف جديد خاص، مفصل على قياس القضية الفلسطينية، كما ذكرنا. بحيث اعتبرت أللاجئ الفلسطيني: كل شخص كان يقيم على ارض إسرائيل (منطقة فلسطين) خلال السنتين التي سبقت قيام دولة العبرية.

حيث جاء حرفيا، اللاجئ الفلسطيني هو: "الشخص الذي كان يقيم في ارض فلسطين خلال الفترة من أول حزيران / يونيو١٩٤٦ ، وحتى ١٥ أيار /مايو ١٩٤٨، والذي فقد بيته ومصدر رزقه جراء حرب عام ١٩٤٨م، ولجأ إلى دول أخرى".

ما يمكن إستنتاجه أنه ووفق التعريف هذا، فكل قادم عربي جديد، وطأت قدميه أرض إسرائيل، عدّ لاجئا وكأنه ابنها منذ أجيال. ليس هذا وحسب، فقد اعتُمد تعديل إضافي لم يتضمنه التعريف العام لكلمة لاجئ، ألا وهو اعتبار من تحدر من الفلسطينيين، لاجئا، أي أن التعريف الجديد طال ويطال الأجيال القادمة للفلسطينيين ما بعد ١٩٤٨.

لا نعي الأسباب الكامنة وراء إقدام الأمم المتحدة على اعتماد تصنيف خاص باللاجئين الفلسطينيين! ولكن على ما يبدو أن ضغوطا هائلة مارستها الدول العربية بعد حرب التحرير.

إذاً تمخض عن نتائج حرب ١٩٤٨ تعريفان لكلمة لاجئ؛ الأول عالمي والثاني خاص بالفلسطينيين، مما يدفعنا إلى طرح الأسئلة التالية:

ما هي الدوافع التي أدت إلى تعديل المفهوم المعتمد لكلمة لاجئ؟

ما هي الأسباب التي كانت وراء اهتمام وإصرار الدول العربية في اعتماد مفهوم جديد للاجئ الفلسطيني؟ ولماذا ضغطوا بهذه القوة لنيل مطلبهم؟

لا شك، انه من شأن الإجابة على هذه الأسئلة، أن يكشف معايير المراوغة والاحتيال في طرح قضايا الصراع العربي – الإسرائيلي عموما واللاجئين خصوصا.

لقد جهدت الجامعة العربية في الضغط على اعتماد تعريف جديد للاجئ

الفلسطيني رغبة منها في احتواء العدد الأكبر من العرب الذين كثرت أعدادهم في السنتين السابقتين لإعلان دولة إسرائيل، وأتوها بعد وصول الحركة الصهيونية والازدهار والنمو الاقتصادي التي عرفته المنطقة بسبب رؤوس الأموال والاستثمارات اليهودية والبريطانية. مما يعني أن عدد عرب أرض إسرائيل في السنوات السابقة لم يكن كبيرا وبالتالي هم ليسوا بسكانها الأصليين، ولم يطئوا أرضها منذ فجر التاريخ كما يزعمون، والمطالع لتاريخ المنطقة، يعرف أن مجموعات كبيرة هاجرت إلى ارض إسرائيل (منطقة فلسطين) من سوريا، مصر، لبنان، تركيا، اليمن، السودان وغيرها من دول الجوار.

بعد هزيمة العرب في حرب الاستقلال، وما سبقها من قرار في الرحيل، فهموا أن عددا كبيرا من الفلسطينيين لن يتم اعتباره كلاجئ وبالتالي ستتحمل الدول العربية وزرا كبيرا في استقبالهم، ضف إلى مشكلة العبء الاقتصادي الذي سيثقل كاهل هذه الدول.

كما وإن لم يُحكَ بلاجئين، فحرب استنزافهم لن تجدي نفعا.

إذا تمكن العرب من ممارسة الضغوط على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وحملها على تعديل التعريف المعتمد للاجئ بشكل يتناسب مع أهدافهم والمسالة الفلسطينية.

في عام١٩٤٨، أنشأت الأمم المتحدة وكالة الإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى والتي تعرف باسم "الانروا"، لدعم ومساعدة من أطلق عليهم اللاجئين (وفق التعريف الخاص بهم طبعا)، مما في ذلك ذريتهم.

والجدير ذكره، أن هناك محاولات تطمح لجعل هذه المنظمة قائمة أبدا لتحاكي أبدية مشكلة اللاجئين.

إن التغيير الذي أعطى مفهوما خاصا للاجئ الفلسطيني، هو في الواقع اعتراف ضمني من قبل العرب والأمم المتحدة على أن الجزء الأكبر من السكان العرب، الذين يدعون أنهم سكان ارض إسرائيل الأصليين والمقيمين فيها من مئات ألاف السنين، مهاجرين جدد لا تنطبق عليهم المعايير المتبعة لمواصفات اللاجئ.

وبناء على ذلك يطرح السؤال حول العدد الحقيقي للاجئين الفلسطينيين الذين عاشوا بالفعل في ارض إسرائيل منذ القدم ويستحقون المعاملة على أنهم لاجئين، وما عدد أولئك الذي جاءوا ارض إسرائيل في العقود العشرينية والأربعينية من القرن العشرين وبالتالي لا يستحقون البتة أن يصنفوا كلاجئين حقيقيين؟

دون أن ننسى أولئك العرب الذين وصلوا ارض إسرائيل ولم يعيشوا بها يوما واحدا، فهؤلاء لا تتوافر فيهم مواصفات كلمة لاجئ البتة حتى ولو تم اعتماد التعريف الجديد والمستحدث وفق الصيغة الفلسطينية للاجئ.

في تموز من العام ٢٠٠٠ أحصت الاونروا عدد ألاجئين ونسلهم في المخيمات الفلسطينية ب٣,٧٥٠,٠٠٠ ، أما تقديرات منظمة التحرير الفلسطينية وصلت إلى ٥,٠٠٠,٠٠٠ لاجئا، فيما تقدر دولة إسرائيل أن عدد اللاجئين وعائلاتهم حوالي ٢,٠٠٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني.

استنادا إلى المستندات والوثائق البريطانية، الإسرائيلية والعربية، طالب البروفسور افرايم كارش، تحليل مسالة إضافية دخلت في صلب الدعاية العربية حول النكبة، ألا وهي؛ حقيقة رقم اللاجئين، بعد اعتماد التعريف الملون.

عند انتهاء الحرب قدرت حكومة إسرائيل عدد ألاجئين حوالي ٥٥٠-٦٠٠

ألف لاجئ، وقد اعترفت وزارة الخارجية البريطانية بهذا الرقم، لتسجل منظمة الاونروا بعد مضي عام على انتهاء حمام الدم، رقما مغايرا وصل إلى ٩٢٠ ألف عربي طالبوا الاستفادة من امتيازات المنظمة.

وجد البروفسور كارش أن التقديرات والأرقام التي قدمها العرب بموافقة ممثلي منظمات الإغاثة، عشوائية ومتناقضة والسبب في ذلك يعود إلى :

- انتقال اللاجئين من مخيم إلى أخر دون الإبلاغ، بحيث تم تسجيلهم في المخيم الجديد دون حذف أسماءهم من المخيم السابق الأمر الذي أدى إلى ازدياد محتوى اللوائح.

- طالب بعض العرب الاستفادة من المساعدات التي تعطى، وقدموا أنفسهم على أنهم لاجئين.

مع بداية حرب الاستقلال عام ١٩٤٨، قُدر عدد السكان العرب في منطقة فلسطين بين١,٢٥٠,٠٠٠ و١,٣٠٠,٠٠٠.

وعند انتهاء الحرب كان عدد العرب المقيمين بيهودا، شومرون وغزة حوالي ٥٥٠ - ٦٠٠ ألف شخص، أما أولئك الذين لم يرحلوا أو عادوا إلى منطقة إسرائيل، فقدر عددهم بحوالي ١٦٠ ألف عربي فلسطيني.

حساب بسيط يظهر، مع الآخذ بعين الاعتبار الإفراط في زيادة الأرقام، أن عدد اللاجئين لا يمكن أن يكون أكثر من ٥٠٩ - ٥٤٠ ألف لاجئ.

استعان البروفسور كارش بالتعداد السكاني الذي تم عام ١٩٤٥، واستنادا إليه، فان عدد السكان العرب في الأراضي التي شكلت سيادة دولة إسرائيل، قدروا ب ٦٩٦ - ٧٢٦ ألف عربي. وإذا قمنا بطرح هذا الرقم من ١٦٠ ألف عربي، لم يرحلوا عند انتهاء الحرب، نصل إلى النتيجة عينها أي: عدد

اللاجئين يتراوح بين ٥٣٦ – ٥٦٦ ألف عربي.

الفحص الذي أجراه كارش اعتمد على التعداد السكاني للقرى والمدن وتوصل إلى نتيجة أن عدد اللاجئين يتراوح بين ٥٨٣ – ٦٠٩ ألف لاجئ.

وهنا يتضح أن الأرقام، التي صنفت اللاجئين بالملايين، مبالغ فيها لان العدد الحقيقي لهم منذ مغادرتهم ارض إسرائيل تراوح بين ٦١٠ – ٥٣٥ ألف لاجئ.

وبالعودة إلى السؤال الذي قادنا إلى المعادلة أعلاه أي: ما هو العدد الحقيقي لأولئك الذين يصنفون حقا لاجئين؟

هناك إثباتات كثيرة تؤكد أن جزءا لا يستهان به من العرب الذين تركوا أراضي الدولة اليهودية إبان حرب التحرير، هم مهاجرون دخلوا الأرض وأقاموا فيها.

ولكن ما لا يمكن إثباته هو؛ هل ١٥٪ من العرب مصنفين لاجئين فلسطينيين أو ٤٠٪ منهم؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد من العودة إلى الوراء والغوص في تاريخ ارض إسرائيل لنفهم حقيقة الأرقام.

وهنا نستند إلى عينات من شهادات أرسلها دبلوماسيون وصحافيون وكتاب زاروا ارض إسرائيل في القرن التاسع عشر، أهمها وأكثرها إقناعا، ما خطه الكاتب مارك توين في كتابه "الأبرياء في الخارج، الذي يرتكز على رحلة عاد بها أرض إسرائيل سنة ١٨٧٦، عاكسا وضعها المأساوي قبل أن تأتيها الحركة القومية اليهودية وتحييها من قفارها، فقد وصف توين ارض إسرائيل "بالمهجورة والبشعة"، عاش فيها مجموعات قليلة متناثرة من الفقراء البؤساء الذين تركوها خراباً آلاف السنين، قائلا: "وهل يمكن أن تكون غير ذلك؟ هل

يمكن لعنة الله أن تجعلها مرغوبة؟ أرض إسرائيل لا يمكنها أن تنتمي إلى هذه الدنيوية. هي أرض مقدسة في الكتابات والأساطير - هي ارض الأحلام". ليضيف:" تلالها مقفرة، وخاملة الألوان، وبلا ملامح جميلة الشكل. وديانها صحاري يرثى لحالها المزري، كل تضاريسها قاسية خشنة، إنها أرض كئيبة بلا أمل ينفطر لها القلب " (..) " بلاد قاحلة أرضها لا بأس بها من حيث خصوبتها، ولكنها مفروشة بالأعشاب البرية، ورحابها صامتة حزينة. فيها من الإهمال ما يعجز حتى الخيال عن إضفاء شيء من مجد الحياة والعمل عليه. لقد وصلنا بسلام إلى جبل تافور(...) وعلى امتداد الطريق كله لم نر كائنا بشريا (...) أرض إسرائيل يلفها الحزن والحداد، أرض قفرة ليس فيها من الجمال شيء (...) بواديها الخالية من البشر، بتلالها الباهتة القفرة، فخذ مثلا كفر ناحوم، تلك الكومة من الأنقاض، أو خذ طبريا، تلك القرية التافهة المستغرقة في سبات في ظل نخلاتها الست الحزينة".

أمثلة كثيرة كتبت في وصف أرض إسرائيل، شهادات رسمت واقع الأرض آنذاك، نذكر بعضها على النحو التالي:

قبل مئة عام من زيارة توين إلى أرض إسرائيل، وصلها الفيلسوف والمستشرق الفرنسي قسطنطين فرنسوا المعروف بالكونت فولني، في عام ١٧٨٥ فقال: "وجدنا صعوبة في التعرف على يروشلايم. عدد سكانها على ما يبدو لا يتخطى ١٢ - ١٤ ألف شخص (...) المكان الثاني، الجدير أن نذكره هو بيت لحم حيث تفتقر أراضيها إلى التجهيزات، في هذه القرية يوجد ٦٠٠ شخص مستعدين لحمل السلاح (..) المكان الثالث الذي لا يقل أهمية هو حبرون، هذه القرية الأقوى في المنطقة. والتي بإمكانها تأهيل ٨٠٠ أو ٩٠٠ مسلح".

الكسندر كايت، ١٨٤٣: "في أيام فولني، لم تكن ارض إسرائيل بعد قد وصلت إلى مرحلة الدمار والرحيل الذي تنبأ به الأنبياء".

جيمس سلك بكنغهام: "كانت يافو قرية مهملة فيما الرملة كغيرها من مناطق فلسطين، الخراب فيها أكثر من الأماكن الأهلة".

الفونس دو لامارتين، ١٨٣٥: "من بعد أبواب يروشلايم لم نلمح أي كائن حي، سكوت تام وابدي يحوم فوق المدينة وطرقاتها وكأنها قبر لشعب كامل".

ارثر فرنلين ستانلي ١٨٨١ حين تطرق إلى منطقة يهودا قال "لا وجود لأثر آدمي على مساحات تمتد لأميال وأميال".

الوضع الكئيب لأرض إسرائيل يعود إلى الحكم العثماني الذي أشاع الفوضى في البلاد لقد فرض العثمانيون على المزارعين ضرائب باهظة، وكانت الشروط الصحية معدومة، فيما الموت جار قريب من الجميع.

وعملا بالنمط الإقطاعي الذي ساد المنطقة، قام الإقطاعيون العرب بسلب المزارعين البسطاء مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية. فيما عمد العثمانيون إلى فرض ضرائب الأرض وضرائب الصناعات وفوائد مرتفعة على القروض، ولتكتمل صورة العناء ظهرت عصابات سرقة هددت حياة الفلاحين وأضافت أسبابا مأسوية نتج عنها خراب البلاد آنذاك.

عاش سكان المنطقة في فقر مُدقع، مما دفع أكثريتهم إلى الرحيل، ليستولي البدو على أماكن سكناهم، قبل أن يضطروا هم أيضا للمغادرة بعد ذلك.

كان وضع الأقليات في الدولة العثمانية كاليهود والمسيحيين أسوأ بكثير من واقع باقي السكان، فإضافة إلى الشروط المعيشية الصعبة، كما أسلفنا أعلاه، فرض العثمانيون عليهم ضريبة إضافية تعرف بالجزية، باعتبارهم " ذميين"، وتعرضوا إلى الملاحقات والمضايقات والاضطهاد بسبب انتماءاتهم الطائفية. هذا الواقع المذري كان سببا لبداية العمل الصهيوني أملا في خلاص شعب وأرض إسرائيل.

لأولئك الذين لا تقنعهم شهادة الكلمة، نعرض عليهم شهادة علمية جغرافية تعكس الواقع الديموغرافي لأرض إسرائيل، وتتلخص بخارطة دقيقة وحقيقية، وقعت في ٢٦ جزءا لكبرها، واعتبرت نادرة من حيث نوعها ومصداقيتها، أصدرتها بعثة لتقصي الحقائق مؤلفة من باحثين بريطانيين، عرفت بإسم "مؤسسة تقصي الحقائق عن منطقة فلسطين" – (THE PALESTINE EXPLORATION FUND) – بعد أن جالت على أرض إسرائيل في فترة ما بين أعوام ١٨٧١ – ١٨٧٨.

مقياس الخريطة هو ١:٦٣٠٠٠، وهذا يعني أن كل سنتمتر في الخريطة، يساوي ٦٣٠ مترا واقعيا.

في هذه الخارطة بإمكاننا تحديد المناطق اليهودية في أرض إسرائيل في السنوات التي تم رسمها وإصدارها، وبالتالي التعرف على مساحاتهم، وتحديد عدد السكان.

الباحثون البريطانيون حددوا بصورة دقيقة حدود كل مكان سكني وابرزوا بألوان خاصة التنوع السكاني. من خلال هذه الخارطة بإمكاننا أن نعرف حجم كل منطقة سكنية في أرض إسرائيل آنذاك، والتي تؤكد حقيقة ودقة ما وصفه ونقله مارك توين.

القرى الكبيرة امتدت على مساحة ١٠٠ X١٥٠ مترا، وتضمنت عددا من المنازل. وقد دلت ألوان الخارطة إلى أن جزءا من مدينة عكو كان مأهولا بالسكان، أما حيفا فظهرت على شكل مستطيل بحجم ٧ X٣ ملم، مما يعني ٤٣٠ X ١٩٠ متر فقط، فيما طبريا كانت تمتد ٦٠٠ X ٣٠٠ متر، ويافا كانت بلدة صغيرة لا تزيد عن

٥٤٠ X ٢٤٠ متر. وظهرت كل من دالية الكرمل، يهودا، عسفيا وغيرها

من القرى بأحجام صغيرة.

اعتمدت الوقائع التاريخية أكثر على فهم الواقع الديمغرافي للبلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر وأظهرت الحقيقة التالية : أرض إسرائيل في تلك الفترة كان مقفرة من السكان، مدمرة وخالية نسبيا من السكان.

جوان بيترز، صاحبة كتاب " منذ قديم الزمان " الذي يقدم معلومات حول الهجرة العربية لأرض إسرائيل، تقدر انه في سنة ١٨٨٢ أقام في غرب أرض إسرائيل التاريخية حوالي ١٤١ ألف غير يهودي، ربع هذا العدد هم مهاجرون وصلوا ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر.

البروفسور موشيه معوز قدر أن تكون نتائج الحكم العثماني وتدهور الشروط الصحية، قد أدى إلى عملية استنزاف مستمر، جعلت عدد السكان لا يتجاوز المائة ألف نسمة.

وبناء على معطيات بريطانية، سكن في أرض إسرائيل عام ١٩٢٨ حوالي ١٥٠ ألف يهودي مقابل أكثر من ٧٠٠ ألف عربي.

وحسب شهادة تشرشل، في عام ١٩٣٦ ارتفع عدد السكان اليهود إلى حوالي ٣٨٠ ألف، (بسبب الهجرة الكبيرة الذي سمح بها الكتاب الأبيض لتشرتشل)، وفي المقابل ارتفع عدد السكان العرب ووصل إلى أكثر من مليون نسمة .

في عام ١٩٤٧، قدر عدد السكان العرب حوالي مليون و٣٠٠ ألف شخص.

من هنا لا يمكن تفسير هذا النمو السريع للسكان العرب دون العودة إلى عمليات الهجرة الكبيرة التي شهدتها ارض إسرائيل، من الدول المجاورة.

قد لا تفلح الوثائق والخرائط التي أوردناها سابقا، في إقناع من لا يريد أن يقتنع، لذلك قمنا بتدجيج سطورنا بشهادات عكست الحقائق التي سادت الواقع آنذاك، منها شهادة توفيق الحوراني، في مقابلة لجريدة "لا سيري" في آب من العام ١٩٣٤ حيث قال: "في الأشهر الأخيرة دخل أرض إسرائيل بين ٣٠ و ٣٦ ألف حوراني واستقروا هناك".

وفي عام ١٩٣٩ تطرق ونستون تشرتشل إلى هذا الموضوع بحيث تحدث عن تدفق للعرب إلى أرض إسرائيل باعداد كبيرة فاقت عدد اليهود، مؤكدا أنهم "تكاثروا فيها وازداد نموهم السكاني لدرجة انه يستحيل على يهود العالم أن يزيدوا معدل نموهم السكاني بهذا الشكل".

وفي مكان أخر لفت تشرتشل إلى أن: "النسبة السكانية العربية ارتفعت في الأمكان التي امتلك اليهود فيها أراض".

وما إن شعر البريطانيون بالعنف العربي، حتى عمدوا، عام ١٩٣٩ واستنادا إلى الكتاب الأبيض لماكدونالد، إلى إحصاء كل قادم يهودي جديد، وفرضوا قيودا على هجرة اليهود إلى أرض إسرائيل لاسيما على أولئك الهاربين من الظلم النازي فيما دخل أرض البلاد المهاجرون العرب بكل سهولة ودون أي رقيب.

نظرة سريعة على بعض من أسماء العائلات "الفلسطينية" المعروفة والوجيهة، تظهر ارتباطها الخارجي ومصدر وطنها الأم:

المصري – من مصر، الحوراني – من سوريا، العراقي – من العراق، التسوراني – من صور، الصيداوي – من صيدون، الطرابولسي – من طرابلس ، الفيومي – من فيوم مصر...الخ، إذ بامكاننا تعداد الكثير لكنها تحتاج إلى صفحات طويلة.

كل الشهادات والوثائق تؤدي إلى حقيقة واحدة احد ألا وهي: أرض إسرائيل في نهاية القرن ١٩ كانت خالية من السكان نسبيا .لم تكن صرخة الحق للقادة الصهاينة نابعة من لا شيء كما أن إصرار القادة العرب في تغيير مفهوم كلمة لاجئ لم يأت من فراغ، بل يقينا منهم أن اللجوء وفق المفهوم الدولي المعتمد لهذه الكلمة لن يطال سوى قلة قليلة من الفلسطينيين العرب، ففرضوا التعديل ليصبح كل أولئك الذين دخلوا أرض إسرائيل في الفترة القريبة السابقة للحرب، لاجئين.

من الصعب التحديد كم من ال٥٦٠ - ٦٠٠ ألف عربي فلسطيني، يستحق بالفعل أن يكون لاجئا، وكم منهم مهاجرين. ولكن الأكيد أن الدعاية العربية استطاعت أن تقود العالم في رحلة المبالغة بالأرقام، إن من ناحية عدد الأشخاص الذين سكنوا الأرض في نهاية الحرب أو من ناحية أولئك الذين يدعون أنهم أبناء هذه الأرض أو من ناحية عدد العرب الذين يصنفون لاجئين.

باختصار وبكل أسف، تمكن العرب من خداع العالم بكذبة اسمها النكبة.

وهنا نستشهد بمقولة لونستون تشرتشل صاغها بسخرية واضحة قائلا: "لو تُرك عرب فلسطين لشأنهم لمدة ألف عام، لما اتخذوا خطوات فعالة في سبيل توفير الري والكهرباء في فلسطين. واكتفوا فرحين بالاستقرار في السهول الجرداء المحروقة بالشمس تاركين مياه نهر الأردن تواصل التدفق دون قيد أو تسخير نحو البحر الميت".

الفصل الرابع

النكبة المغيبة

يرتكز هذا الفصل على مقال في غاية الأهمية بعنوان "النكبة اليهودية"، للكاتب الإسرائيلي "بن درور يميني" المنشور في جريدة معاريف في عددها الصادر تاريخ ١٦ أيار٢٠٠٩ ، وعلى مقال أخر لا يقل شأنا ل "عدي شفارتس" نُشر في العدد ٤٣ من مجلة "تخلت".

كثيرة هي الحقائق التي تُغيب بقصد وتُهمش بإمعان وتُستبدل ب"دعاية" أخرى تأخذ حيزا واسعا من الاهتمام دون رصد تاريخها وأبعادها.

هذه هي حال النكبة اليهودية التي سبقت "النكبة العربية" بعشرات السنين، والمتمثلة بطرد اليهود من الدول العربية حيث عانى "أبناء يعقوب" الاضطهاد القاسي، والملاحقات المؤلمة والتعسفية، وارتُكبت بحقهم سلسلة من المجازر والمذابح؛ جُردوا من أمنهم، تعرضوا للسلب والنهب، صودرت أرزاقهم وطُردوا من بيوتهم مخلفين وراءهم ممتلكات وثروات تقدر بأضعاف ما كان لعرب أرض إسرائيل.

لم ينس احد معاناة اليهود، لان آلامهم ودمهم ومأساتهم تغلغلت في عمق التاريخ، لتُحفر في أرشيفه عنوانا لفظاعة المعاناة العرقية، لكنهم فرضوا

طمسها بقصد، لترجيح الكفة لصالح العرب.

لقد كانت النكبة اليهودية أكثر خطورة من النكبة الفلسطينية، إلا أن اليهود لم يحوّلوا نكبتهم إلى رواية دعائية كما فعل الفلسطينيون، الذين اعتمدوا صناعة الكذب (وعفوا من هذه الحقيقة الجارحة) لتغيير معالم وقائع المسار التاريخي.

نحن لسنا من دعاة صوغ الروايات وشحذ الشفقة على أرواح الضحايا، لكننا مع حقيقة واحدة ألا وهي؛ آن الأوان لوضع حد لكل هذه الروايات المصاغة.

لقد لعب العرب لعبتهم بامتياز وصاغوا رواياتهم الدعائية التي أصبحت عنوانا في الشرق الأوسط وحولوها إلى أسطورة وهمية بامتياز مخلفة تداعياتها على كافة المجالات، لقد كانوا السباقين في الافتراء، وإذ بهم بفعل هذه الادعاءات من أكثر الضحايا معاناة.

وهنا نسال:لماذا لم نسمع البتة عن مأساة الجاليات الإسرائيلية في الدول العربية، وما تعرضوا له من اضطهاد وقتل وسلب وقمع وتشريد ومصادرة أملاك وترحيل؟

أيعقل أن تمحوا ذاكرة التاريخ ما اقترفته أيديهم لتبقى شاهدة فقط على بطولاتهم وانجازاتهم؟

لقد بقيت النكبة اليهودية في ظل التاريخ، لان السبب الرئيس وراء ذلك ان هناك من أراد إسكات الأفواه وتجاهل مأساة اليهود في الدول العربية، وطي الصفحة عن دراما جاليات الشعب اليهودي وما عانوه في أراضي" لغة الضاد".

لقد تعرض يهود الدول العربية إلى التنكيل دون أي سبب.

هل قرأتم يوما (إعلاميا) أو حتى سمعتم في "المجالس الإنسانية"، عن ما تعرض له مئات الآلاف من شعب إسرائيل في الدول العربية من عمليات قتل متعمد واغتصاب وسرقة ومجازر جماعية ؟

بالطبع لا !! لا بل أن قارئ هذه السطور مندهش مما تنقله عينيه من حروف ترسم حقيقة الواقع اليهودي في حقبة تاريخية تميزت بقدر سوداوي لهؤلاء. مخطئ من يعتقد أن المأساة اليهودية تلخصت في المحرقة النازية، فالعرق المشرقي "لأبناء يعقوب" تعرض إلى محاولة إبادة شبيهة، لكن السيناريو جاء مختلفا.

قد يسأل القارئ لماذا لم تقم الدولة الإسرائيلية وشعبها بكشف معاناة الشعب اليهودي وتعميمه أسوة بالفلسطينيين؟ لماذا سمحوا بطمس مأساتهم ولا أحد يروي روايتهم، إذ تركوا المجال للرواية الفلسطينية أن تطغى على الخطاب التاريخي؟

فالحق نقول إننا في غنىً عن رواية إسرائيلية تقف بمحاذاة أخرى فلسطينية، لسنا بشعب يقف على الأطلال وإنما امة تنظر أفقا، وتهتم بصياغة المستقبل، تمجد تاريخها ولكنها تترك لمتتبع الحقائق الغوص بمفرده في أحداث الماضي دون صياغة الروايات.

أما نحن، شباب هذه ألأمة التي نفخر بالانتماء إليها، قررنا أن نأتي بالتاريخ إلى المستقبل، راغبين بإحياء ذاكرة التاريخ، لننشر الحقائق المغيبة هدفا بنصرة قضيتنا وحقيقتنا ووضع حد للدعاية المعروفة بالنكبة، دون استحداث الروايات، لا بل جل اهتمامنا التخلي عن الروايات لحساب الحقيقة التي تقول أن اليهود كانوا أكثر عرضة للقتل والتهجير والمعاناة.

لقد عرف التاريخ عشرات الملايين من الضحايا التي عاشت المأساة والمعاناة

بسبب الحروب والصراعات، وحدهم الفلسطينيون انشغلوا في البكاء على الأطلال وتوجيه الاتهامات بدل أن يتحملوا وزر أعمالهم وعواقب أفعالهم.

نعم ! يتحمل العرب مسؤولية نتائج عدوانهم لا سيما مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، كما على عاتقهم تقع مسؤولية المأساة الكبيرة التي لحقت بمئات ألآلاف من أبناء الجاليات الإسرائيلية في الدول العربية.

لم يكن "أبناء شعب اسرائيل" في الدول الناطقة "للغة الضاد"، طرفا في أي من الحروب التي خاضتها، ولم يعلنوا القتال ضدها، ولم يشاركوا في أعمال تمرد وعنف على أنظمتها بل كانوا مواطنين مخلصين ومسالمين لها. ورغم ذلك تعرضوا لأبشع أنواع المجازر والطرد والاضطهاد وتحولوا إلى ضحية للكره الديني والعرقي القاتل.

الكذب

وفق الرواية التاريخية للعرب، فان اليهود في الدول العربية عاشوا بسلام وحظوا بحماية الأنظمة فيها.

لكن، وردا على الممارسات الصهيونية بحق عرب أرض إسرائيل، بدأت الجاليات اليهودية تتعرض للمضايقات من قبل المسلمين.

الحقيقة التاريخية مغايرة جوهريا لما ورد أعلاه، وان كانت هناك بعض الفترات التي عرف فيها اليهود في الدول العربية نوعا من الهدوء النسبي تحت الحكم الإسلامي ونعموا ببحبوحة واستقرار اقتصادي (العصر الذهبي الاسباني) إلا أنها فترات استثنائية لا تعتبر قاعدة يتم الارتكاز عليها. فعلى مدى التاريخ، تعرض يهود الدول العربية إلى نوع من الإذلال اليومي؛ النفي، المذابح والحرمان من ادني حقوقهم إضافة إلى اعتماد سياسة التمييز ضدهم.

صنف اليهود في كنف الدول الإسلامية كأهل ذمة، ليعيشوا وضعا مذريا للغاية في عهد الخليفة عمر. والسبب في المعاملة السيئة للإسلام لبني يعقوب وغيرهم – أي "غير مسلم"، قد نستشفه من قول للمستشرق المعروف " برنارد لويس" : "إن موقف المسلمين من الغير مسلم، ليس كرها أو خوفا أو غيرة وإنما احتقارا حيث لقبوا اليهود بالقردة والمسيحيين بالخنازير".

لا بد من الذكر، انه في العصر الحديث عرفت الجاليات اليهودية نوعا من الازدهار في الدول العربية. كمصر والعراق في العقود العشرينية والثلاثينية من القرن العشرين، وفي الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين. والسبب كان، الإهتمام المشترك لهذه الدول في مواجهة الحالة الاستعمارية.

واختصار القول؛ واقع اليهود كان سيئا جدا قبل الغزو الأوروبي للمنطقة وأصبح أسوأ بعد الحقبة الاستعمارية.

بالإمكان تقسيم اضطهاد اليهود في الدول العربية إلى حقبتين:

* طوال التاريخ البعيد

* وفي السنوات التي سبقت بقليل قيامة دولة إسرائيل

وقبل أن نسترجع المحطات التاريخية التي لُطخت بدم اليهود في الدول العربية، لا بد من الإشارة، أن الادعاء المتداول والذي يلقب يهود الدول العربية ب" اليهود العرب" غير صحيح ، فهذه التسمية غير معتمدة في الوسط اليهودي العام، لأنهم انوجدوا في هذه المنطقة قبل آلاف السنين من الغزو العربي، ويُعرف " يهود الشرق الأوسط " باسم يهود المشرق.

لقد حافظ اليهود في الدول العربية على هويتهم القومية، الدينية، والحضارية التي تعود الى اكثر من ٣٠٠٠ عاما، تختلف اختلافا كليا عن تلك التي

إعتُمدت في مجتمعاتهم العربية.

كما أنهم لم يُصنفوا البتة كعرب في هذه الدول، ويكفي أن نذكر حدثين من التاريخ، عومل فيهما اليهود على أساس قوميتهم الخاصة ومُيزوا عن السكان الباقين لدحض مقولة" اليهود العرب":

- اضطهاد الشيوعيين اليهود في العراق الذين تعرضوا لحكم الإعدام شنقا، والطرد من ارض بلاد ما بين النهرين، فجاءوا أرضهم التاريخية إسرائيل (مثال- سامي ميخائيل).

- إبادة القبائل اليهودية في شبه الجزيرة العربية على يد النبي الإسلامي محمد بعد سلسلة من المعارك والاضطهاد.

في الحجاز على سبيل المثال، منبع العائلة الهاشمية الملكية، عاشت ثلاثة قبائل يهودية:

قبيلة بني قينوقاع - قبيلة بني نظير - قبيلة بني قريظة.

عند سيطرة الإسلام على مكة والمدينة، قام جيش محمد بإبادة هذه القبائل وقياداتها واستولى على ممتلكاتها وعرضها.

واستنادا إلى حروب الإبادة هذه، نرى عرب اليوم في كثير من التظاهرات المعادية لإسرائيل يرددون عبارة: "خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سيعود"، وذلك نسبة للهجوم الذي قاده محمد على مدينة خيبر وعمد إلى إبادة سكانها اليهود.

حتى في **اسبانيا**، ورغم ما عاشته من عصر ذهبي إبان الحكم الإسلامي والذي يعود لليهود دورا في لمعانه، شهدت ملاحقات وتعديات وأعمال عنف

بحق أبناء شعب إسرائيل على أكثر من صعيد.

نذكر:

عام ١٠١١، تعرض مئات الآلاف من اليهود في مدينة قرطابة الإسلامية إلى القتل والمجازر.

في عام ١٠٦٦ ، ارتكبت في غرناطة مذبحة بحق اليهود راح ضحيتها بين ٤٠٠٠ و٦٠٠٠ يهوديا.

لتبدأ أكثر الفترات التاريخية قسوة في العام ١١٤٨ حين تولت الحكم سلالة الموحدين التي حكمت إسبانيا وشمال إفريقيا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

المحطات الدموية لليهود في الدول العربية

في المغرب:

ساد اعتقاد أن المغرب كانت أكثر الدول أمنا لليهود، إلا أن العكس هو الصحيح، لأن الوقائع التاريخية أثبتت أنها كانت أكثر الدول الإسلامية التي تعرض فيها اليهود للمجازر والمذابح، نورد على سبيل المثال لا الحصر بعضها:

في القرن الثامن، تم إبادة طوائف يهودية بصورة كاملة على أيدي إدريس الأول.

في سنة ١٠٣٣، قتل في مدينة فاس ٦٠٠٠ من اليهود على أيدي الجماهير المسلم.

أسفر تولي سلالة الموحدين للسلطة، عن سلسلة من المذابح الكبرى، حيث أفادت إحدى الشهادات التاريخية، أن مئة ألف يهودي قد ذُبحوا في فاس، ونحو ١٢٠ ألفا في مراكش.

في سنة ١٤٦٥ وقعت مذبحة كبرى أخرى في مدينة فاس، امتدت إلى مدن مغربية أخرى.

في تطوان وقعت مجازر منظمة في كل من عامي ١٧٩٠ و١٧٩٢، تضمنت قتل الأطفال، نهب ممتلكات هذه الجالية القديمة واغتصاب نساءها.

في عامي ١٨٦٤ و١٨٨٠ نُفذت سلسلة من المجازر بحق اليهود في مراكش، وأحصيت الضحايا بالمئات.

وفي القرن العشرين لطخت السنوات التالية بدماء يهود المغرب:

١٩٠٣ تعرض يهود مدن" تازة" و"سطات "للمجازر، حيث مات ٤٠ منهم.

١٩٠٧ نفذت مجزرة في الدار البيضاء سقط فيها نحو ٣٠قتيلا من أبناء إسرائيل، فيما اغتصب العديد من النساء.

١٩١٢ تكررت المجازر في فاس، حيث قتل ٦٠ يهوديا، وأصبح ١٠٠ ألف منهم بدون مأوى.

١٩٤٨ تجددت المجازر بحق اليهود، فقتل ٤٢ منهم في مدينتي وجدة وجرادة.

في الجزائر:

وقعت سلسلة من المجازر في الأعوام؛ ١٨٠٥ و ١٨١٥ و١٨٣٠.

ثم تحسنت أوضاع اليهود مع بدء عهد الاحتلال الفرنسي في عام١٨٣٠ ، ولكن الأمر لم يحل دون وقوع أعمال عنف بحق أبناء الجالية اليهودية خلال السنوات الأخيرة من القرن ال١٩.

وازدادت الأوضاع سوءً مع تولي حكومة فيشي الحكم في فرنسا إبان الحرب العالمية الثانية، ولكن قبل ذلك، وفي عام ١٩٣٤ تحديدا، تسربت للجزائر تأثيرات نازية تسببت في تنفيذ مجزرة أخرى راح ضحيتها ٢٥ يهوديا وذلك في مدينة قسطنطين.

في ليبيا:

ولم ينجو يهود ليبيا من المضايقات. فقد قتل المئات منهم سنة ١٧٨٥ على يدي علي باشا. وزادت التأثيرات النازية من خطورة الاعتداءات على اليهود، ليُشرّع الحكم الايطالي، الحليف آنذاك للنظام الألماني النازي الاعتداء عليهم، حيث تم نهب ممتلكاتهم وإرسال الآلاف منهم إلى المعسكرات النازية وإبادة نحو ٥٠٠ منهم في تلك المعسكرات.

في العراق:

لم تشفع قدم وعراقة الجالية اليهودية لها، ولم تؤثر ٢٥٠٠ عام من عمر أول منطقة يهودية في العراق على الرأفة بها، وتخلصها من نزف الدماء، بل شهدت ارض بلاد ما بين النهرين الكثير من المذابح، كان أهمها في مدينة البصرة عام ١٧٧٦. وحين بدأ الانتداب البريطاني عام ١٩١٧ تحسنت أوضاع اليهود، ولكنها عادت فساءت سنة ١٩٣٢ بعد انتهاء عهد الانتداب، واستقلال الشعب العراقي.

في سوريا:

أما بلاد سوريا فكانت أول من استوردت "الاسامية" من أوروبا، وعرفت

تحريضا ضد اليهود ـــ"فرية الدم"ـــ عام ١٨٤٠، ما أدى إلى اختطاف العشرات من أطفالهم وتعذيبهم حتى الموت أحيانا، بالإضافة إلى تعرض عائلات بأكملها إلى أبشع أنواع المجازر. فيما سجل التأريخ أقسى المذابح بحقهم في كل من حلب عامي

١٨٥٠ و١٨٧٥، ودمشق عام ١٨٤٨ و١٨٩٠.

أيضا في بيروت عامي ١٨٦٢ و١٨٧٤. كما ظهر في دير القمر تحريضا على دم اليهود تمخض عن مذبحة سنة١٨٤٧، ووقعت في يروشلايم في العام نفسه، مجزرة كبيرة كنتيجة لتحريض الدم المذكورة.

في اليمن:

عانى اليهود في هذه الدولة، من الاضطهاد والملاحقات والمضايقات والاعتداءات. في عام ١٦٧٦، قام إمام اليمن المهدي بتهجير اليهود إلى أحدى المناطق القاحلة في اليمن، وعرف آنذاك ب "منفى موزع" ما تسبب في وفاة ما بين ستين وخمسة وسبعين بالمائة منهم بحسب تقديرات مختلفة. وقد تم فرض إجراءات كثيرة على اليهود تفاوتت في قسوتها، من أقساها فرض الأسلمة القسرية على الأيتام.

في إيران:

وقعت مجزرة بحق اليهود في مدينة مشهد سنة ١٨٣٩، حيث انقضّت الجماهير على اليهود بفعل التحريض المفتعل ضدهم، ليتم ذبح ٤٠ يهوديا، فيما أرغم الباقون على اعتناق الإسلام إلا أنهم أبطنوا اليهودية وأطلق عليهم اسم "أنوسي مشهد".

وفي سنة ١٩١٠ ظهر تحريض الدم في مدينة شيراز، قتل كنتيجة لها ٣٠ من أبناء شعب إسرائيل.

في مصر:

كان وضع اليهود منحطا ومذريا طوال مئات السنين على الرغم من أنهم أقدم سكان بلاد النيل، حيث سكن أبناء إسرائيل فيها منذ عصر بيت المقدس الأول قبل ٢٥٠٠ عان.

عقب الإشاعات التي حللت هدر دماء اليهود ــــ فرية الدم ــــ في دمشق، نشرت إشاعات مماثلة في مصر نتج عنها سلسلة هجمات غوغائية نذكر منها:

في القاهرة في الأعوام١٨٤٤ ، ١٨٩٠، ١٩٠١ – ١٩٠٢.

في الإسكندرية في السنوات ١٨٧٠، ١٨٨٢، ١٩٠١ - ١٩٠٧، وغيرها من أعمال العنف المماثلة في بورسعيد والدمنهور.

وبعد سلسلة الدماء اليهودية التي سقطت في الأراضي العربية، يجدر بنا أن نُذَكر؛ كل أعمال العنف والشغب والنهب والاغتصاب والقتل الذي تعرض له اليهود في الحقبات التاريخية المختلفة لا سيما في مصر حيث حرم على اليهود السكن في البيوت العالية وفُرض عليهم وضع علامة في رقبتهم عبارة عن جرس صغير، وعدم انتعال الأحذية وامتطاء الفرس ... كل ذلك تم قبل ولادة جده لتيودور هرتسل وبالطبع قبل إستقلال دولة إسرائيل.

وألان نصل إلى الجزء الثاني من مقاربة واقع اليهود في الدول العربية، وهو شق التاريخ المعاصر.

عشية إعلان دولة إسرائيل، كان عدد اليهود في الدول العربية حوالي ٩٠٠ ألف يهودي، وتشير الأرقام إلى أن ٪٩٩ منهم تركوا هذه الدول في فترة زمنية قصيرة لا مثيل لها.

صحيح، أن الجاليات اليهودية في روسيا والمانيا عانوا القمع والعنصرية،

لكنهم لم يتركوا مناطقهم بهذه الصورة الجماعية والكاملة، في فترة زمنية قصيرة.

وحتى نفهم الدافع لعملية التهجير الجماعية اليهودية هذه، نعود بالذاكرة إلى تصريحات قادة العرب عشية إقامة الدولة إسرائيل، والتي اعتمدت التمييز العرقي والعنصري والهبت نفوس الشارع العربي كرها لليهود الذين دفعوا ثمنا باهظا بأرواحهم وممتلكاتهم.

ممثل مصر في الأمم المتحدة، محمد حسنين هيكل، وضح ما هي عواقب قرار التقسيم على اليهود في الدول العربية : "هذا الحل، أي قرار التقسيم، سيكون خطرا على حياة مليون يهودي في الدول الإسلامية (...) وعلى الأمم المتحدة أن تتحمل مسؤولية الأحداث والمذابح التي ستلحق بعدد كبير من اليهود".

وأعلن أمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام، في ١٥ – ٥ – ١٩٤٨ أن: "الحرب ستكون ضروسا، وسوف تُروى قصة المجزرة كما تروى قصة حروب المغول والصليبين".

أما المفتي الحاج أمين الحسيني فقد دعا المسلمين إلى قتل اليهود قائلا: "إنا أعلن الحرب المقدسة، أيها الإخوة المسلمون ! اذبحوا اليهود! واقتلوهم جميعا".

اذا، تمييز عنصري اعتمده القادة العرب، يقوم على التهديد باسم العرق والدين، سرعان ما تحول من الأقوال إلى الأفعال، فعمت الدول العربية موجة من الكره والعنف ضد اليهود:

في العراق، شهد العام ١٩٤١ مذبحة الفرهود الذي راح ضحيتها ١٧٩ يهوديا وجرح فيها أكثر من ألفي شخص. كما عمد النظام العراقي إلى ملاحقة اليهود واضطهادهم معتمدا سياسة التمييز ضدهم، طاردا إياهم من

أعمالهم لاجئا إلى محاكماتهم تعسفيا.

في آذار عام ١٩٥٠ سمح النظام العراقي لليهود بالرحيل شرط التنازل عن الجنسية العراقية وترك أملاكهم وثرواتهم. وبعد سنة قامت السلطات العراقية بمصادرة أملاك العائلات اليهودية التي رفضت الرحيل

وفي أواخر العام ١٩٥١ كان ٩٠٪ من يهود العراق قد تركوا بلاد ما بين النهرين مخلفين وراءهم ممتلكات قدرت بالملايين.

عرف يهود سوريا قدرا وظلما مماثلا. فسجل التاريخ عام ١٩٤٥ مذبحة راح ضحيتها ٧٥ يهوديا. لتتجدد المضايقات عام ١٩٤٧؛ مئات الدور، المحلات، المدارس والكنائس اليهودية دمرت.

ومع بداية العام ١٩٤٩ صودرت ممتلكات اليهود وجمدت مدخراتهم المصرفية، ليختتم العام نفسه برحيل أبناء "شعب إسرائيل" السوريين وقد أصبحوا لاجئين.

أما في عدن اليمن التي كانت رازحة آنذاك تحت الحكم البريطاني، فقد شهدت سلسلة من أعمال العنف والشغب والمضايقات كان أهمها مجزرة عام ١٩٤٧ والتي عرفت ب" محرقة يهود عدن" التي استمرت ثلاثة أيام، مورست فيها أبشع أنواع القتل والكراهية، راح ضحيتها ٩٧ يهوديا وجرح ١٢٠ منهم.

ناهيك عن التعرض للممتلكات؛ بحيث دمرت ١٠٦ محال تجارية من اصل ١٧٠ لمالكين يهود بصورة كاملة، ضف إلى مئات الدور والأبنية التي أحرقت.

حينها أُرسلت قوة من الحرس البدوي لحمايتهم، إلى أن سرعان ما انضم عناصرها إلى المشاغبين، فما كان ليهود اليمن سوى خيار الرحيل حفاظا

على أرواحهم وأطفالهم وعرضهم.

في مصر بدأت حالة التمرد على اليهود في نهاية الحرب العالمية الثانية.

في الذكرى السنوية لإعلان بلفور في عام ١٩٤٥ قتل عشرات اليهود وجرح المئات، وأحرقت كتب التوراة المقدسة .ليصب رئيس وزراء مصر، آنذاك، فهمي النقراشي الزيت على نار الكراهية قائلا: " كل يهود مصر هم شيوعيون وصهاينة على حد سواء".

بعد هذا الإعلان، في ٣٠ أيار ١٩٤٨، قررت الحكومة المصرية مصادرة ممتلكات كل" مَن تُهدد أعماله امن الدولة"، وبناء على ذلك، معتمدة تلك الحجة، قامت السلطات المصرية بمصادرة أملاك أكثرية اليهود، فيما استمرت سلسلة المجازر التي أسفكت دماءهم طيلة صيف ذلك العام، لتحصد ٥٣ يهوديا، كانوا قد قتلوا حتى شهر أيلول/ سبتمبر. ليقول مراسل الصحيفة "ناشيونال تسايتونغ" أن القاهرة تنازلت للأعمال الغوغائية التي عمت الشوارع المصرية صارخة كرها : "يهود يهود".

كما ساد في مصر نوع من التمييز العرقي آنذاك، بحيث اضطهد أيضا كل من يوحي شكله انه أوروبي، فكانت مسارح البطش والهمجية على أشدها في الحي اليهودي الذي تعرض إلى أبشع أنواع الاضطهاد، حيث تم هدم بيوت اليهود وقتل المئات منهم، حتى عام ١٩٥٠ كان قد ترك ٢٠ ألف يهودي بلاد النيل.

في ليبيا، بدأ اضطهاد اليهود مع نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ قتل في مدينة طرابلس ١٣٣ يهوديا.

في تموز من العام ١٩٤٨ عادت أعمال القمع والعنف لتحصد أرواح ١٤ يهوديا.

وفي العقد الخمسيني من القرن العشرين، فرضت حكومة ليبيا سلسلة من القيود الاقتصادية آدت إلى تجميد ممتلكات اليهود. ليبقى، في نهاية العام ١٩٥٢، ٤٠٠٠ يهوديا فقط من اصل ٣٥,٠٠٠ كانوا مقيمين فيها في العام ١٩٤٨.

في تموز من العام ١٩٤٨ تجددت في المغرب أعمال العنف ضد اليهود فكانت مجازر مدن "اوجدة" و"جردا" التي حصدت ٤٢ يهوديا.

استمر قمع يهود المغرب والتنكيل بهم، فكانت مجزرة عام ١٩٥٤ التي راح ضحيتها ستة أبرياء. لتستمر المذابح بحق "أبناء اسرائيل" في الدار البيضاء، مزجان وصافي عام ١٩٥٥.

ووصل الحال إلى بقاء بضع الآلاف من يهود المغرب في عام ١٩٤٧ بعد أن كانوا ربع مليون يهوديا.

وهكذا تأتي هذه المجازر وأعمال العنف والاضطهاد لتدحض أولئك المدعين بان "اليهود العرب" كانوا مكرمين معززين، عاشوا فترات بيضاء في حضن الدول العربية، ولتكشف حقائق، لعبت البربغاندا العربية في فرض نسيانها لا بل طيها في كتاب التعتيم خوفا من حقيقتها وحقيقة واقع اليهود التاريخي في الدول العربية.

لغة الأرقام تعكس الحقائق

لنعود إلى واقع الأرقام في زمننا، فمقابل ٥٠٠ ألاف عربي لاجئ في حرب الاستقلال ــــالأكثرية منهم تركوا الأرض دون أن يروا جنديا إسرائيليا واحداــــ طرد من الدول العربية ٨٠٠ إلى ٩٠٠ ألف يهودي. باختصار وبلغة ثانية مقابل كل عربي = يهودي ونصف.

ونضيف أن السكان العرب في أرض إسرائيل شاركوا في المواجهات العسكرية الهادفة إلى القضاء على المناطق اليهودية، وارتكبوا المجازر ضد شعب أرض إسرائيل الأصليين، بصورة فردية مقصودة لا علاقة لها بالأعمال الحربية والدفاعية. فقط لأنهم من العرق اليهودي!.

أهمية دولة إسرائيل، بالنسبة لشعبها، تكمن في أنها أصبحت كيانا وعنوانا لليهود "المطرودين"، ضف إلى كونها ارض الأجداد ومرتع الأباء الذين حلموا بالعودة إليها بعد ألاف السنين من المنفى.

لقد كان طرد اليهود من الدول العربية قاس ولا يقارن برحيل العرب الفلسطينيين الذي كان خيارهم الإرادي.

لقد كان يهود الدول العربية كبش محرقة، دفعوا ثمنا باهظا دون أن يكونوا طرفا أو سببا في نزاع.

جاءوا أرضهم بخفي حنين بعد المأساة التي تعرضوا لها في الدول العربية. ورغم التمييز العرقي الذي اعتمد بحقها، تمكنت دولة إسرائيل الفتية من أن تنبت، واستطاع اليهود من تحسين وضعهم في حضن حضارتهم التاريخية.

لقد دفع اللاجئون الفلسطينيون ثمن قرار زعماءهم وقياديهم في إعلان الحرب والإبادة. ورغم مرور ستة عقود، لا يزال العرب منشغلين بما اقترفته أيديهم، مصرين على البكاء والظهور بمظهر الضحايا الذين ُطردوا من أرضهم وجُردوا من حقوقهم، بسبب إعلان دولة إسرائيل. والهدف من ذلك ؟ طبعا أسباب سياسية.

إن المعاناة التي عاشها اليهود لا تقل أهمية عن تلك التي عانى منها الفلسطينيين في أواخر العقد الرابع من القرن العشرين، والقاسم المشترك لهذه المآسي هم العرب أنفسهم بقياديهم ووجهاءهم على مر العقود التي

سبقت إعلان دولة إسرائيل وبعدها، وما زرعوه من كره عرقي وديني حصد أرواح مئات ألآلاف، إضافة إلى القرارات الفاشلة التي اتخذوها والتي تفتقد الرؤية السليمة.

إن قيمة الممتلكات والثروات التي تركها اليهود وراءهم بعد طردهم المقصود والمبرمج من الدول العربية اقله، تقدر بضعف الممتلكات والثروات العربية التي تُركت في أرض إسرائيل.

يقدر الخبير الاقتصادي العالمي سيدني زفيلودوف، قيمة ما تبقى من ممتلكات العرب في إسرائيل بعد رحيلهم بحوالي ٣,٩ مليار دولار، مقابل أكثر من ٦ مليارد دولار هي قيم ثروة اليهود وممتلكاتهم التي تركوها وراءهم إبان طردهم من الدول العربية) وفق أسعار عام ٢٠٠٧).

لذلك فإن مزاعم وحجة الفلسطينيين في هذا المجال لا يمكن أن تصمد أمام حقائق الواقع.

لقد جر الفلسطينيون وقادتهم الدول العربية إلى حرب، غُرّموا بعواقبها، وتسببوا باضطهاد اليهود وقمعهم في الدول العربية، فكان الثمن الذي دفعه أبناء شعب إسرائيل باهظا جدا، ليس فقط بالممتلكات لا بل أيضا في الدماء.

إذا أراد العرب فتح دفتر الحسابات والتعويضات، فان الشعب اليهودي على أتم الاستعداد، لأنها ستكون متبادلة وعادلة على قدم المساواة.

الفصل الخامس

علاقة الحركة القومية الفلسطينية بالنازية ومسؤولياتها عن مقتل مئات الآلاف من اليهود

تطرقنا في الفصول السابقة إلى مسؤولية العرب في مهاجمة اليهود وإعلان الحرب عليهم، وبالتالي تحمل نتائجها، أهمها؛ مشكلة ألاجئين الفلسطينيين وما ألحقوه من مآسي لمئات الآلاف من اليهود في الدول العربية.

في صفحات هذا الفصل سنتحدث عن العلاقة التي جمعت "الحركة القومية الفلسطينية" بألمانيا النازية، والتي تمخضت عنها خلايا عربية هدفها النيل من كل نفس يهودية. هذه العلاقة التي جهد العرب والفلسطينيين على طمسها في خبايا التاريخ.

ولعل أهم الشخصيات العربية التي وطدت علاقات ممتازة مع الحزب النازي وشاركه أعماله العنفية والإجرامية، مفتي مدينة القدس (مدينة يروشلايم الأصل)، قائد "القومية العربية" في أرض إسرائيل ورئيس اللجنة العربية العليا المفتي الحاج أمين الحسيني، بحيث قام في عام **١٩٣٣** بتوجيه رسالة إلى القنصل الألماني، يعرب فيها عن رغبته في نشر الإيديولوجية النازية في "منطقة فلسطين"، وانشأ، على إثر ذلك، حركة شبابية لعرب منطقة فلسطين

أطلق عليها "الكشافة النازية"، حملت شعار الصليب المعقوف.

بعد أن قاد الحسيني الثورة العربية الكبرى في السنوات ١٩٣٦ - ١٩٣٩، محرضا على العنف والكراهية ضد اليهود، هرب من منطقة فلسطين عام ١٩٣٧ إلى العراق، حيث ترك بصماته في المذابح التي ارتكبت بحق يهود بلاد ما بين النهرين عام ١٩٤١، لينتقل بعد ذلك إلى ألمانيا حيث أقام فيها حتى العام ١٩٤٤.

دغدغت برلين آنذاك، حلم الحسيني في القضاء على اليهود، فالتقى زعيمها النازي أدولف هتلر في تشرين الثاني / نوفمبر من العام ١٩٤١، مطالبا إياه بإبادة جميع اليهود في أرض إسرائيل والشرق الأوسط، ناجحا في انتزاع التزام من المجرم هتلر يتلخص: "هدف ألمانيا إبادة العرق اليهودي المقيم في المناطق العربية برعاية بريطانية".

أيد الحاج أمين الحسيني خطة الإبادة المنظمة التي نفذها النازيون ضد أبناء شعب إسرائيل إبان الحرب العالمية الثانية. وقد اتضح موقفه هذا من شهادة أدلى بها عام ١٩٤٦ مساعد أدولف ايخمان) المسؤول عن عملية إبادة يهود أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية)، أمام محكمة مجرمي الحرب النازيين في نيرنبرغ. وقد جاء في الشهادة المذكورة، إن الحاج أمين الحسيني كان مقربا جدا من ايخمان، وكان يحثه دائما على تسريع عملية الإبادة المنظمة لأبناء الشعب اليهودي. كذلك تدل وثائق نازية تم اكتشافها بعد الحرب، على أن الحاج أمين الحسيني قام بعدة زيارات لمعسكر الإبادة (اوشفيتس)، حيث قطع وعدا لأيخمان بأن عرب منطقة فلسطين سيساهمون بكل طيبة خاطر بتنفيذ عمليات إبادة مشابهة لليهود المقيمين في أرض إسرائيل.

وفي بث للإذاعة الألمانية باللغة العربية دعا المفتي جمهوره لقتل الشعب اليهودي قائلا: "اقتلوا اليهود حيث تجدوهم في سبيل الله، التاريخ والدين".

ليتبين، فيما بعد، أن النازيين أقاموا عام ١٩٤٢، تلبية لطلب المفتي، وحدة خاصة في إطار (الأس. أس)، أنيطت بها مهمة تنفيذ عملية جمع يهود أرض إسرائيل في معسكر اعتقال، تمهيدا لإبادتهم. كانت هذه الوحدة، التي عرفت باسم Einsatzgruppen Egypt برئاسة ولتر رووف، قوامها ٢٤ مقاتلا، التحقوا بقوات رومل. ولو قدر لهذا القائد النازي من تحقيق النصر في معركة العلمين عام ١٩٤٢ لكان "رووف" أباد يهود أرض إسرائيل بصورة قاطعة.

ولا يخفي التاريخ، أن الحاج أمين قام بإنشاء وحدة عسكرية من مسلمي البوسنة للقتال إلى جانب النازيين، مستغلا الروح العنصرية، وقد حاربت هذه الوحدة على وجه الخصوص قوات تيتو.

إذا، بذل الحسيني جهودا جبارة للقضاء على اليهود بشكل عام ويهود أرض إسرائيل بشكل خاص، فكان وراء العملية الإجرامية الفاشلة "عملية الأطلس "التي هدفت حينها إلى تسميم مياه الشرب في وسط أرض إسرائيل. ولو قدر لهذه العملية النجاح لقتلت ٢٥٠ ألف شخص .حينها قامت طائرة ألمانية بإنزال خمسة مظليين، ثلاث ألمان واثنين من العرب، فوق منطقة أريحا، حاملين حاويات من الزرنيخ السامة والقاتلة. إلا أن العملية باءت بالفشل، بعد أن علمت القوات البريطانية بالأمر وأحبطت جهودهم.

تسبب الحسيني في مقتل مئات الآلاف من اليهود بصورة مباشرة، مارس ضغوطا على الألمان والهنغاريين خلال الحرب، من اجل إبادة كاملة ليهود المجر. ونجح في محاولاته" الاقناعية" التي قادت، في أيار من العام ١٩٤٤، يهود المجر إلى معسكر (اوشفيتس).

وعندما أحيط علما أن حكومة هنغاريا تنوي تهريب ٩٠٠ طفل يهودي إلى أرض إسرائيل هربا من الإجرام النازي، طالبها بالعدول عن قرارها، منوها بأهمية دور العرب وجهودهم في الحرب النازية، مما أدى إلى تغيير مسار

هؤلاء الأبرياء من رحلة" الأمل في البقاء إلى معسكرات الإبادة في بولين.

جهود الحاج أمين الحسيني استمرت للقضاء على "كل يهودي حيث وجد"، فقد توجه إلى حكومتي ايطاليا وبلغاريا لحثهما على منع استقبال المهاجرين اليهود، وإرسالهم إلى بولندا حيث دارت عملية الإبادة المنظمة.

ويتبين من وثائق نازية رسمية صادرة عن القيادة العليا، أن الحاج أمين الحسيني كان يتلقى من القيادة النازية منحة شهرية مقدارها خمسين ألف مارك ألماني إضافة إلى ما قيمته خمسة وعشرين ألف مارك بالعملات الأجنبية، في مقابل الخدمات التي قدمها لها، كما أنها قامت بتمويل الثورة العربية الكبرى التي قادها في سنوات ١٩٣٦ - ١٩٣٩.

الجدير ذكره، ان الحسيني لم يكن الشخصية العربية الوحيدة في أرض إسرائيل التي تعاملت مع الإجرام النازي فهناك شخصيات أخرى نذكر على سبيل المثال: راسم خالدي، جمال حسيني وصافي كامل.

نتائج الثورة العربية الكبري:

اندلعت الثورة العربية الكبرى عام ١٩٣٦ واستمرت ٣ سنوات، قوامها معادات العرق اليهودي وقتله.

ورغم أنها أدت إلى مقتل حوالي ٤٠٠ يهوديا و٢٠٠ بريطانيا وحوالي ٥٠٠٠ عربيا، فقد حققت نجاحا كبيرا لبلغوها أهدافها.

هذا النجاح تجسد في ردة الفعل البريطانية التي انعكست في الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ المعروف أيضا بكتاب ماكدونالد، والذي نقض الالتزامات المعهود بها إلى الشعب اليهودي في إقامة وطن قومي له في أرضه التاريخية، كما جاء في وثيقة بلفور.

وقد اعتبر ونستون تشرتشل هذا الكتاب، بمثابة استسلام لتهديدات العرب وابتزازهم ومحاولة عقيمة لاسترضاء المعتدي.

"لقد حول اليهود الصحراء إلى واحة خضراء، محققين الازدهار الاقتصادي، محولين الشواطئ المهجورة إلى مدن كبيرة، مستثمرين مياه الأردن في إنارة مختلف أنحاء أرض إسرائيل(...) تغلغل العرب لعمق البلاد ليحققوا نموا سكانيا كبيرا، فتكاثروا فيها وازداد نموهم السكاني لدرجة انه يستحيل على يهود العالم أن يزيدوا معدل نموهم السكاني بهذا الشكل". ليضيف "ما يؤلمني إننا نغض النظر عن كل ذلك، ونستسلم لتحريض غُذي بمال أجنبي وبدعم من الدعاية النازية والفاشستية".

الكتاب الأبيض لماكدونالد الذي لقب بكتاب الخيانة، تبناه البريطانيون عام ١٩٣٩.

وقد حد من هجرة اليهود إلى أرض إسرائيل وقيّد عدد القادمين منهم ب ٧٥٠٠٠ ألفاً في السنوات الخمس اللاحقة لصدور الكتاب أي (١٩٤٠ – ١٩٤٤) وبعد سنة١٩٤٤ ، حصر عدد هجرة أصحاب الأرض بموافقة العرب. كما احتوى الكتاب على قيود تطال حق اليهود في امتلاك وشراء الأراضي.

إذا، الكتاب الأبيض كان بمثابة تراجع عن تعهد قُطع على اليهود في استعادة سيادتهم على أرضهم التاريخية، أمام العنف العربي المتحالف مع النازيين. كما اعتبر بمثابة صيغة مدمرة خصوصا ليهود أوروبا، بعد أن أفقدهم عودة إلى أرضهم تقيهم ظلم النازي. لا سيما وأنه في أواخر العقد الثلاثيني من القرن العشرين، اعتمدت أغلبية دول العالم سياسة الحد من الهجرة إليها .

وهكذا، تبدد أمل العودة إلى الأرض التي اعتبرت ملجأ ينقذ شعبها الأصلي من براثم الإجرام، فأقفلت حدودها وصُدت أبوابها في وجه من أراد العيش بسلام.

ما حدا بالمؤرخ البريطاني مارتين جيلبرت للقول: "لم يُعط العرب، في الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩، القدرة على الحد من تزايد الأعداد اليهودية في" فلسطين" وحسب، بل قطع على اليهود المضطهدين في وسط أوروبا وشرقها كل أمل في اللجوء إلى المكان الذي عُدّ أكثر أمنا لهم".

نجحت الثورة العربية في نيل مبتغاها رغم ما حصدته من خسائر بشرية، وحقق المفتي الحسيني نجاحا عظيما، وهو الشريك التاريخي لأدولف هتلر في مشروع إبادة اليهود.

١٥ أيار ١٩٤٨، عنونه التاريخ في ذاكرة العرب بنكبة، صنعته أيديهم بإصرار وتصميم.

١٥ أيار ١٩٤٤، يروي إحدى فصول نكبات اليهود الأكثر قسوة، حيث سيق نصف مليون يهودي إلى الموت، دون أي ذنب أو إرادة وتصميم.

هذا المعسكر الذي يسكن ذاكرة شعب إسرائيل ألما ووجعا على مئات الآلاف من اليهود الذين قضوا بأبشع أنواع الإجرام الإنساني، شارك المفتي الحسيني في دعم أسسه، فكانت دوافعه "تُركة" من الحقد والكراهية للشعب اليهودي، تتوارثها الأجيال العربية، زادت وتزيد من معاناتهم بعد أن دفعوا ثمن خيار زعماءهم.

النكبة الفلسطينية حقيقة إنوجدت، لكنها سطرت بحبر المبالغات والتضخيم والادعاءات.

"اللاجئون الفلسطينيون" حقيقة لا تنكر، لكنها صناعة عربية بامتياز، أرادوا تحميلها لليهود، لتبقى وسيلة للابتزاز.

دعم العرب محور الشر النازي، ورفضوا مشروع التقسيم، يوم كان العقد

الأربعيني من القرن العشرين يشهد ولادة الكيانات السياسية الجديدة أسوة بإسرائيل، التي لم تقم على أنقاض دولة أخرى، بل وجدت على أرضها التاريخية مستعيدة حقا، حرمت منه ألاف السنين. فما كان من العرب إلى أن أعلنوا حرب الإبادة، معتمدين حضارة العنف والنار. دفعوا ثمن لغتهم، فكان الرحيل - الخيار الإرادي وكانت "النكبة"، نكبتهم.

على العرب أن يعترفوا بالحقائق التاريخية التي تؤكد نكبة اليهود على أراضيهم، وان قرار الرحيل كان بأيديهم، والكف عن استغلال" النكبة" التي لا تعدو كونها خدعة سياسية وتاريخية، أملا بتنمية أجيالهم على أسس الصدق والعدل، حتى لا تدفنهم" نكبتهم" في مستنقع الشرق، ومستنقع التاريخ.

المصادر:

ספרים:

- גילברט, מ. **צ'רצ'יל והיהודים**. דביר, 2009.
--- In Ishmael's House: A History of the Jews in Muslim Lands. Yale University Press, 2010.
- גלבר, י. **קוממיות ונכבה**. כנרת, זמורה-ביתן, דביר, 2004.
- טוויין, מ. **מסע תענוגות בארץ הקודש**. כנרת, זמורה-ביתן, דביר, 2009.
- לואיס, ב. **שמיים ואנטישמיים: מחקר על סכסוך ועל דעות קדומות**. דביר, 1989.
- מוריס, ב. **1948: תולדות המלחמה הערבית הישראלית הראשונה**. עם עובד, 2010.
- נתניהו, ב. **מקום תחת השמש**. הוצאת ידיעות אחרונות, 1995.
- פיטרס, ג'. **מאז ומקדם - מקורות הסכסוך היהודי-הערבי על ארץ ישראל**. הקיבוץ המאוחד, 1988.
- קארש א. **פיברוק ההיסטוריה הישראלית: "ההיסטוריונים החדשים"**. הקיבוץ המאוחד, 1999.

מאמרים:

- גלילי, ז. "המפה הגדולה של הארץ הריקה", **הגיון בשגעון, הטור המקוון של זאב גלילי**.
http://www.zeevgalili.com/?p=325

- ימיני, ב.-ד. "הנכבה היהודית", **מעריב**, 2009.
http://www.nrg.co.il/online/1/ART1/891/209.html

- ימיני, ב.-ד. "יום הנכבה וההונאה", **מעריב**, 2010.
http://www.nrg.co.il/app/index.php?do=blog&encr_id=f2b4c1b55be76d1e6d7b777256ea0370&id=1243

- שוורץ, ע. "חורבן קהילות ארצות ערב: האסון שנגנז", **תכלת** 43, 2011.

- שפק-ליסק, ר. וש. ברטל, "אמין אל חוסייני: פתרון סופי בשיתוף הנאצים", אי-מאגו, 2010.
http://www.e-mago.co.il/Editor/history-3465.htm

- Karsh, E. "Were the Palestinians Expelled?", Commentary, July 2000.
http://www.kcl.ac.uk/content/1/c6/02/19/29/WerethePalestiniansExpelled.pdf

- Karsh, E. "How Many Palestinian Arab Refugees Were There?", Scholars for Peace in the Middle East Newsletter, 2011.
http://spme.net/cgi-bin/articles.cgi?ID=7923

إسرائيل بالعربية.كوم

Israel in Arabic.com

الترجمة من اللغة العبرية ل" اسرائيل بالعربية "
للترجمة وكتابة المحتوى

Translated To Arabic By

Israel in Arabic Translations
and Content Management

Tel. **+972-50-355-5509**

www.israelinarabic.com

mail@israelinarabic.com

אם תרצו
המהפכה הציונית השנייה

POB 53205 Jerusalem 91531

Tel. 072-2506235

Fax. 02-5323002

Email: imti@imti.org.il

http://en.imti.org.il